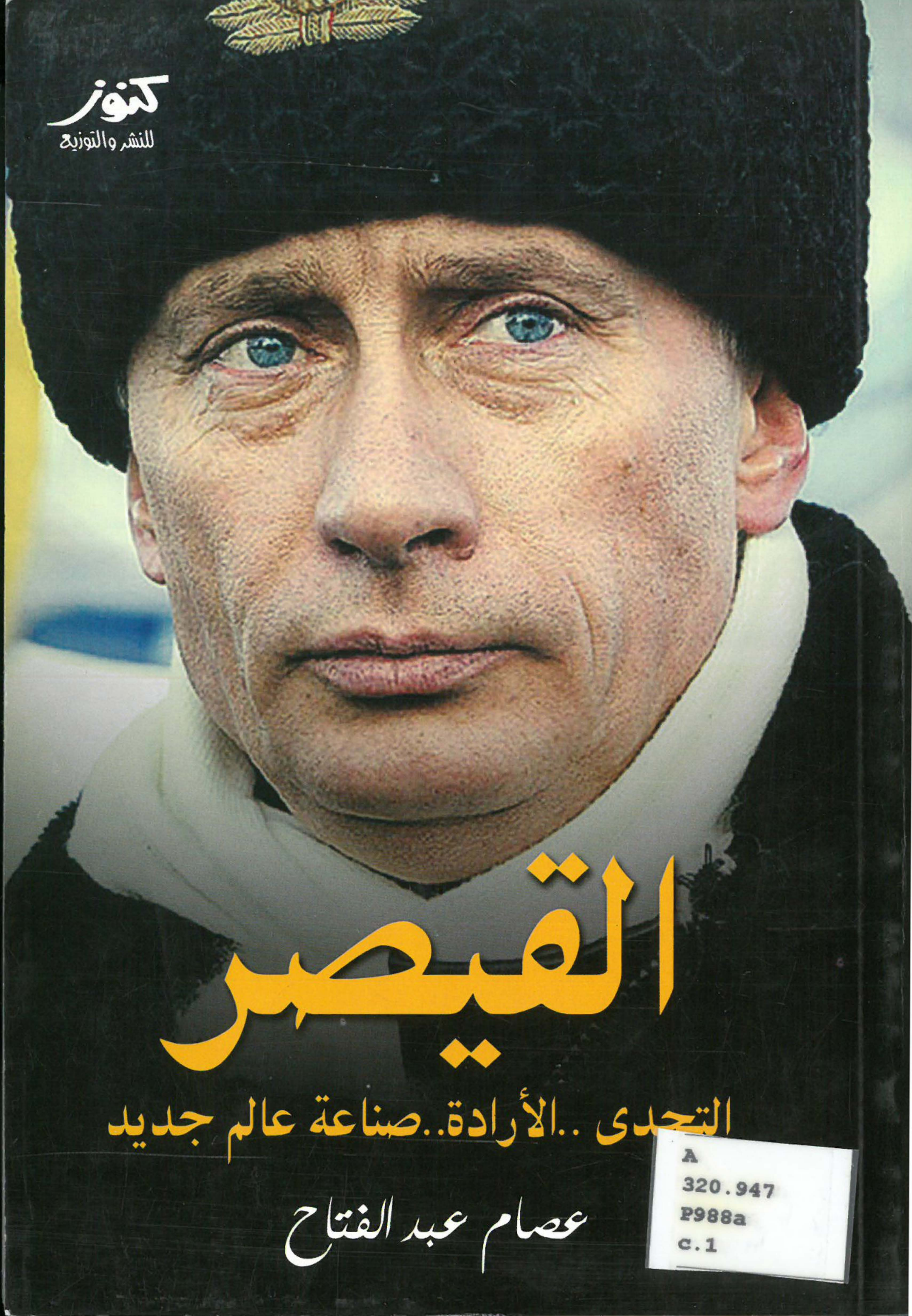
كنوز
للنشر والتوزيع



القيصر

التحدى ..الأرادة..صناعة عالم جديد

عصام عبد الفتاح



عصام عبد الفتاح

فلاديمير بوتين هو قيصر روسيا الجديد.. الرجل الحالم لوطنه.. الحاكم لقلوب شعبه.. الطامح إلى إحياء مجد بلاده الضائع عبر دروب العقود الماضية.. بدأ حياته عميلاً استخباراتياً بالـ(K.G.B) لكن حملته أقداره إلى قمة السلطة في الكرملين.. ليصبح أحد أبرز زعماء وطنه والعالم مع نهايات الألفية الثانية وبدايات الثالثة.. المؤكد أن كل هذا النجاح لم يأتِ من قبيل الصدفة.. وإنما كان وراءه مشوارٌ طويل.. شغل خلاله بوتين العديد من المناصب الحساسة والحيوية في بلاده.. حتى تم انتخابه للمرةِ الأولى رئيساً لروسيا 26 مارس سنة 2000 ثم أُعِيدَ انتخابه ثلاث مرات بعدها.. لماذا يعشق الروس ذلك الرجل إلى هذا الحد؟. وكيف سارت به مقاديره عبر مشواره.؟. وكيف ينظر إليه العالم اليوم.. وهو يجابه الولايات المتحدة بكل هذا التحدي.. والعِناد.؟. هذا ما نعرض له من خلال هذا الكتاب..

تصميم الغلاف : أسامة علام

كنوز
للنشر والتوزيع

القيصر بوتين

التحدى - الإرادة - صناعة عالم جديد



عصام عبد الفتاح

كنوز

2015

اســـم الكتــاب: القيصر (التحدى - الإرادة - صناعة عالم جديد)

المـــؤلـــف: عصام عبد الفتاح

الإخراج الداخلي:

النخبة

للدعم الفني وخدمات النشر

٠١٠٢١٥٧٥٠٨٦ - ٠١٢٧٦٨٩٠٠٣٧

مراجعـة لغويـة: عبد العزيز السباعى

الناشر

كنوز

للنشر والتوزيع

14 شارع جواد حسني متفرع من شارع قصر النيل - القاهرة

تليفاكس: 0223961698 محمول: 01227717795

email:kenouz55@yahoo.com

رقــم الإيــداع: 2015 / 2185

الترقيـم الدولي: 978-977-709-376-7

الطبعة الأولى: 2015

إهداء خاص

إلى.. الحاج مصطفى.. أبي الحبيب الغالي
الذي حرمته حادثة طريق
من أن يكمل مسيرته في عشق الحياة
وحرمتنا من شمعة الأمل التي تنير ظلام أيامنا..
أبتهل إلى الله
ألا يحرمنا ضوءها بعد أن فقدنا بريقها..
متعك الله بالصحة يا «أجدع أب» في الكون
وأعادك شامخًا على قدميك تجري وتمرح
وتعيد إلينا «بسمة الدنيا».

تحياتي لكم جميعًا

عصام عبد الفتاح

كلمة أولى

عبر تاريخه الطويل والممتد بعمق الحضارة يتمايز الشعب الروسي بشفرته وطبيعته الإنسانية الخاصة..

شعبٌ عنيد.. قوي.. لا يعرف المستحيل..

ربما كان ذلك بسبب طقسه ومناخه الخاص جداً..

وربما كان بسبب طبيعته الجغرافية الخاصة أيضاً..

ومن أهلهم يشهد عليهم شاعرهم الشهير «توتشف[1]» الذي يصف روسيا وشعبها بأبياتٍ شعرية رائعة فيقول:

لا تُفهم روسيا بالعقل..

ولا تُقاس بالمقاييس..

إن لديها قواماً خاصاً..

ليس لك إلا أن تؤمن بروسيا!

إنهم شعب يختلف في كل شيء.. بيولوجياً.. فسيولوجياً.. وسيكولوجياً.. فالشكل واللغة والدين والعادات والتقاليد والتعامل مع معطيات الحياة وتصور العالم بشكل عام كل ذلك لديهم مختلف.. ولا يتشابه مع شعوب أخرى..

---

(1) فيدور توتشِف شاعر روسي شهير عاش ومات بين عامي (1803 & 1873) أشعاره ذات نزعة فلسفية تعكس الإحساس التراجيدي بتناقضات الحياة الدنيوية.. يمتاز شعره بالعمق النفسي وله أشعار غنائية رائعة.

زمنياً في التمحيص والتدقيق وكلما كان عدد المشتركين في اتخاذ القرار أكبر.. كلما تولدت القدرة على اكتشاف الأخطاء والتجاوزات وتعديلها.. وبالتالي سوف تأتي النتائج أقرب إلى الدقة والاكتمال.. وهذا مهم الإشارة إليه ورصده قبل حديثنا عن بوتين والتجربة الروسية في عهده..

عصام عبد الفتاح
القاهرة نوفمبر 2014
Elbtrawy2020@ gmail.com

ولكن لأن الشعب الروسي مختلف.. فقد كان من الطبيعي والبديهي جداً أن يكون رؤساؤه كذلك أيضاً..

و إذا عرفنا كيف يفكر هذا الشعب فسنعرف كذلك كيف يختار رؤساءه..

والتحليل الموضوعي والمحايد للشخصية الروسية يأخذنا للحديث عن سمتين رئيستين في تكوين الشخصية الروسية..

السمة الأولى:

«التوجس والريبة»

وربما يكون مرد ذلك إلى الأحوال السياسية والاقتصادية المتباينة التي عاشها الروس خلال فترات زمنية مختلفة ألقت بظلالها على شفرتهم النفسية..

السمة الثانية:

«النزعة إلى تعقيد الأمور وتصعيبها»

وهذا واضح وبشكل مباشر في كتابات أدبائهم الأشهر عالمياً مثل «ديستوفيسكي.. مكسيم جوركي.. جوجول.. أنطون تشيخوف.. وغيرهم» حيث يميل فشخصية الإنسان الروسي تعشق تعقيد الأمور والإسهاب غير المبرر في تفكيرهم وخطابهم المعيشي فيما بينهم والكتابي في مراسلاتهم و إبداعاتهم..

بشكل عام لا يحبون الطريق المباشر والسهل الواضح.. إنما الطرق المتعرجة والمتداخلة.. أي ما يمكننا تسميته اختصاراً بسياسة «اللف والدوران»

السر ربما يكمن في كون العقلية الروسية تؤمن بأن ما يتم تحقيقه بسهولة غالباً ما يأتي هشاً.. ضعيفاً..

إن هذه السمات المميزة للشخصية الروسية تعكس لنا الطريقة التي يفكر بها الرؤساء الروس الذين يرون دائماً أنه كلما كانت مراحل اتخاذ القرار أكثر صعوبة تأخذ حقها

تمهيد

روسيا قبل بوتين!!

جاء جورباتشوف بيلتسين..

وجاء يلتسين ببوتين..

وفي مرحلة ما بعد المد الشيوعي شكل ثلاثتهم معاً المثلث الأكثر تأثيراً في تاريخ بلادهم..

الثلاثة لعبوا أدواراً غاية في الأهمية على خارطة العالم السياسية والجغرافية أيضاً.. كانوا وكأنهم يمدون أيديهم ليستخرجوا من رَحِمِ التاريخ مولوداً جديداً قسرياً اسمه «روسيا الاتحادية» أبواه الشرعيان هما: انهيار «الاتحاد السوفيتي» ورغبة الشعب الروسي في الخروج من نفق الشيوعية المظلم..

وعندما انهار الاتحاد السوفييتي أُسدِلَ بانهياره الستارُ على أول تجربة نظام اشتراكي تقوم على أفكار ثلاثي الشيوعية الشهير «كارل ماركس.. وفريدريك أنجلز.. وفلاديمير لينين» وتُركَتْ للتاريخ مهمة الإجابة عن السؤال المنطقي الحائر:

هل كان انهيار الاتحاد السوفييتي بسبب الخلل في النظرية الاشتراكية ذاتها أم كيفية تطبيقها[1]؟

فإن كانت تلك هي نهاية الاتحاد السوفيتي.. فكيف كانت إذن..

(1) الإجابة عن هذا السؤال ستأخذنا لمنحى بعيد عن موضوعنا الأساسي في هذا الكتاب لذا سنرجئ الإجابة عنه بشكل مباشر لكوننا سنتحدث عنها ضمنياً بين ثنايا سطور الكتاب..

كان يفرضه تعاقب الأحداث التاريخية.. ففي أعقاب الحرب العالمية الثانية قاربت حدوده حدود الإمبراطورية الروسية في نهاياتها زمنياً خاصةً بعد ضم مساحات شاسعة من الأراضي المجاورة لأراضي الإمبراطورية والتي تمثلت في:

- ❑ دول البلطيق..
- ❑ شرق بولندا..
- ❑ منطقة بيسارابيا الواقعة شرق أوروبا..

ووقتها لم يبقَ أمام «الاتحاد السوفيتي» ككيان جغرافي حتى يتمكن من مماثلة كامل حدود الإمبراطورية الروسية السابقة سوى الأراضي البولندية والفنلندية.

وبحلول عام 1956 كان الاتحاد السوفيتي قد أصبح كيانا ممثلاً لخمس عشرة دولة اتحادية ذات نظام حكم جمهوري وهي:

- ❑ أرمينيا السوفيتية الاشتراكية.
- ❑ أذربيجان السوفيتية الاشتراكية.
- ❑ إستونيا السوفيتية الاشتراكية.
- ❑ أوزبكستان السوفيتية الاشتراكية.
- ❑ أوكرانيا السوفيتية الاشتراكية.
- ❑ بيلاروسيا السوفيتية الاشتراكية.
- ❑ تركمانستان السوفيتية الاشتراكية.
- ❑ جورجيا السوفيتية الاشتراكية.
- ❑ روسيا السوفيتية الاتحادية الاشتراكية.
- ❑ طاجيكستان السوفيتية الاشتراكية.
- ❑ كازاخستان السوفيتية الاشتراكية.

البداية؟

خلال الفترة ما بين عامي «1922 إلى 1991» تشكل ما عُرِفَ بـ«اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية» اختصاراً كان يُشار إليها بـ «C.C.C.P[1]» التي شملت جغرافياً أغلب مساحة منطقة أوراسيا.. وفي لغتنا العربية عرفناه باسم «الاتحاد السوفيتي»..

وكلمة «سوفيت» في اللغة الروسية [2] تعني «النصيحة» ثم تم استخدامها كاسم علم على الاتحاد السوفيتي كدولة وكان قد سبق ذلك أيضاً استخدامها عام 1905 كمسمى لأول مجلس محلي للعمال أنشئ في مقاطعة «إيفانافو» في عهد الإمبراطورية الروسية.. وبشكل عام يُعد مجلس السافيت هو المرجعية الأساسية الأولى للمجتمع والنظام الشيوعي في اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية قبل تفككه.

وعلى أنقاض الإمبراطورية الروسية الغابرة وُلِدَ كيان الاتحاد السوفيتي بعد نجاح الثورة البلشفية التي قامت سنة 1917 والتي تأججت مع اندلاع أواصر الحرب الأهلية الروسية والتي استمرت أربعة أعوام كاملة فيما بين عامي « 1918 وحتى 1921»

«روسيا» كبرى الدول المؤسسة للاتحاد..

كانت «روسيا» هي كُبرى الدول المؤسسة لمنظومة «الاتحاد السوفيتي» وفيما بعد انهياره كانت أيضاً هي «الوريث الشرعي» لإرثه السياسي - إن جاز لنا التعبير -

مراحل تكون الاتحاد السوفيتي

منذ بدايات نشأته تكون الاتحاد السوفيتي من اتحاد أربع جمهوريات سوفيتية اشتراكية فقط.. إلا أنه بشكل عام لم تكن هناك حدود دولية ثابتة محددة له.. حيث تغيرت حدوده بما

(1) الاختصار المُشار إليه جاء من ترتيب الحروف الأولى لمسمى اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية باللغة الروسية وهو:

«Социалистическ и х Республик Советских Союз»

(2) النطق الصحيح لها «سافيت».

ومنذ عام 1945 وحتى تفكك الاتحاد السوفيتي عام 1991 كان الاتحاد السوفيتي هو الطرف الآخر لمعادلة قيادة العالم والهيمنة عليه.. وبالطبع كان الطرف الثاني للمعادلة هي الولايات المتحدة الأمريكية.. وتمثلت جوانب اتزان المعادلة في المناحي الاقتصادية ومصادر الطاقة من نفط وخلافه.. العسكرية والتسليحية.. مجالات الأبحاث العلمية واستكشاف الفضاء.. حتى الألعاب الأوليمبية والرياضات المختلفة.. وبالطبع كان يسبق كل ذلك التبعية السياسية الدولية فانقسم العالم آنذاك إلى معسكرين: «غربي» وتمثله أمريكا ومن يدور في فلكها.. «شرقي» ويتزعمه الاتحاد السوفيتي والدول التابعة له.. كل ذلك كان جميعه يُدار وفق مفهوم ونظرية اتزان طرفي المعادلة.. حتى جاء ذلك اليوم المشهود..

وكيف كان مشهد النهاية..

ففي الخامس والعشرين من ديسمبر 1991 استيقظ العالم أجمع على ما لم يكن يتخيله أو يتصوره.. فقد تفككت أواصر «الدب الروسي[1]» وانهار الاتحاد السوفييتي ليتحول إلى أشلاء حدودية.. جاء الانهيار سلمياً بحتاً.. لكن كان يحيط به نُذرُ ضبابية غامضة تُنبؤ بمصير غامض ينتظر الشعب الروسي وكافة الشعوب التي انضوت ذات يوم تحت مظلة الاتحاد السوفيتي الذي كان..

يومها جاء «بوريس يلتسين» يسانده «ميخائيل جورباتشوف» على ظهر دبابة ليتسلم مقاليد الحُكم في روسيا الاتحادية..

وقبيل هذا الموقف التاريخي الذي لا يُنسى بفترة وجيزة قام عددٌ من كِبارِ المسئولين بالانقلاب على «جورباتشوف» بهدف إعادة توجيه دفة الاتحاد السوفييتي نحو النظام الشمولي المركزي والتخلص من «البريسترويكا» التي أقامهاجورباتشوف.. والتي تبتعد عن روح النظام الشيوعي., وتم إخضاع «جورباتشوف» للإقامة الجبرية وتشكيل لجنةحكم تقوم بأعماله.. ورغم ثقل الشخصيات المشاركة في الانقلاب العسكري إلا أنه فَشِلَ بسبب تعاطف الشعب الروسي مع جورباتشوف بعد أن فقد الشعب للأبد إيمانه

(1) تعبير ومسمى خاص كان ومايزال يُطلق كنايةً عن قوة وتنمر الاتحاد السوفيتي وقت أن كان..

- قرقيزستان السوفيتية الاشتراكية.
- لاتفيا السوفيتية الاشتراكية.
- ليتوانيا السوفيتية الاشتراكية.
- مولدوفا السوفيتية الاشتراكية.

النموذج المحتذى

وكونه أقدم الدول الدستورية الشيوعية كان الاتحاد السوفيتي هو النموذج المُحتذى به لأغلب الدول الساعية لتطبيق الأفكار الماركسية اللينينية خلال فترة «الحرب الباردة[1]» وكانت المؤسسات الحكومية والسياسية بالبلاد توصف باسم المؤسسات «البُلشفية[2]» حتى أصبح يطلق عليها فيما بعد اسم الحزب الشيوعي السوفيتي.

ماذا تعنى (الماركسية ـ اللينينة)؟

في تاريخ التجربة شيوعية ككل لا بد أن نتوقف عند ما أشرنا إليه في السطور السابقة بـ «الماركسية ـ اللينينة» والذى هو كمصطلح يتعدى كثيراً كونه توصيف لغوي فقط لأن حقيقته أكبر من ذلك بكثير.. فهو نظام حُكم متكامل وِفقاً للمبدأ الشيوعي الأساسي «الكل يعمل وفق جهده.. الكل يأخذ قدر احتياجه» وبداية تداوله كمصطلح سياسي جاءت على يد«جوزيف ستالين» في كتابه «أسئلة حول اللينينة» واعتُمِدَ كأيديولوجية رسمية للاتحاد السوفياتي أثناء فترة حكمه للاتحاد السوفيتي[3].

(1) الحرب الباردة هي المصطلح الذي يُستخدم دائماً لوصف حالة الصراع والتوتر والتنافس التي اندلعت بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وحلفاء كلٍ منهم خلال الفترة في منتصف أربعينيات القرن العشرين وحتى أوائل التسعينيات منه.

(2) بالطبع نسبةً للثورة البلشفية.

(3) هناك من يرفض الاعتراف بكون ستالين قد اتبع خلال فترة حكمه فعلياً مبادئ ماركس ولينين بل و يؤكد هؤلاء أنه ابتعد عنها تماماً.

الأقل بما يتفق مع مقدرتها العسكرية.. هل من الممكن لروسيا أن ترث أيضاً موقع الاتحاد السوفيتي كقوة عظمى.. والوفاء بالالتزامات الضخمة المترتبة على ذلك؟

هؤلاء لروسيا بالمرصاد

تزامنِ استقلال روسيا مع صعود قوى دولية جديدة.. مثل:

- **الاتحاد الأوروبى**.. الذى تكون بموجب (معاهدة ماستريخت) التى وقعت فى نفس الشهر الذى انهار فيه الاتحاد السوفيتى..
- **الصين**.. التى حققت معدلات للنمو غير مسبوقة تاريخياً..
- النمور الآسيوية التي تنظر بتوحش باحثة عن دورٍ لها على خريطة عالم ما بعد الاتحاد السوفيتي..

إزاء كل ذلك أصبح على روسيا أن تحدد موقفها دولياً وفي أي مربع ستكون وهو ما سنرى من خلال صفحات الكتاب كيف نجح فيه بوتين..

وعودة

إلى يلتسين لنرى كيف مهد الطريق ليأتي بوتين على نفس الطريقة التي مهد بها جورباتشوف الطريق أمامه..

والحقيقة أنه من خلال مسيرة حياة «فلاديمير بوتين» لابد أن نتوقف طويلاً وكثيراً عند «يلتسين» فقد كان هذا الرجل وبلا شك واحداً من أهم من ساهموا في صناعة أسطورة «بوتين» ـ إن صَحَ لنا هذا التعبير ـ ولعله قد لَعِبَ معه نفس الدور الذي سبق ولعبه من قبل «جورباتشوف» مع «يلستين» ذاته..

وقبل أن نستعرض ملامح الدور الذي لعبه يلتسين مع بوتين لابد أن نتوقف أولاً لنتعرف عن قرب عن:

بفكرة «الاتحاد السوفييتي» بعد ما عاشه أبناؤه من انهيار اقتصادي شامل جراء اللهث وراء أوهام الشيوعية وخلافه.

أغرب ما كان في تلك الثورة الشعبية أن الوحدات العسكرية التي كانت وقتها تأتمر بأوامر قادتهم العسكريين أبطال الانقلاب الفاشل لم تحاول على الإطلاق ممارسة العنف مع الجماهير المناهضة لذلك الانقلاب.. ولم تكن قيادة الانقلابيين بالقوة الكفاية لاتخاذ أية قرارت حاسمة في تلك اللحظات وانتهى الانقلاب العسكري ببزوغ نجم «بوريس يلتسين» وتوقيع رؤساء الجمهوريات السوفييتية الـ15 على وثيقة سقوط الاتحاد السوفييتي.

روسيا بعد التفكك

ولعل أهم معضلة خارجية واجهت روسيا.. بعد تفكك الاتحاد السوفيتى هى كيفية صياغة سياسة خارجية جديدة فى ظل حالة الانهيار الشامل لورثة الاتحاد من ناحية.. وفى ظل النظام العالمى الجديد الذى تسيطر عليه الولايات المتحدة من ناحية أخرى فقد انهار الاتحاد السوفيتى.. وتفككت مؤسساته.. وأصبح من المهم بناء أجهزة صنع سياسة خارجية جديدة.. وصياغة منظور جديد للتعامل الدولى الروسى..

روسيا الوريث الشرعي للاتحاد السوفيتي

وورثت روسيا التركة الدولية للاتحاد السوفيتى.. وتمثلت التركة فيما يلي:

- مقعد مجلس الأمن..
- سفارات الاتحاد السوفيتي فى الخارج..
- ترسانته النووية وأدوات نقلها (الصواريخ عابرة القارات».

روسيا.. هل تستطيع؟

لكن بقي السؤال: كيف وعلى أية صورة يمكن صياغة مركز دولى جديد لروسيا على

لكن من الظلم أن ننسب كل ذلك ليلتسين.. لماذا؟

لأن التغيرات الاجتماعية في الشعوب لا تأتي هكذا مفاجئة.. إنما تكون تراكمات زمنية متتالية تتراكم من جيلٍ إلى جيل.. أي أننا باختصار يمكننا القول أن فترة حكم يلتسين كانت مرحلة الحصاد المُر لما زرعته الشيوعية.. ولكنه كان قدره.. ولم يعترض الرجل.. بل تحمل في شجاعة سياسية مسئولياته أمام شعبه وأعرب عن رغبته في الإصلاح.. والتغيير.. واختار لهذا الدور بوتين..

أما عن حياته الشخصية فقد كان «يلتسين» ينتمي لأسرة ذات تاريخ ثوري كبير.. فقد اتُهِمَ والده «نيكولاي يلتسين» سنة 1934 بمعاداة السوفييت وحُكِمَ عليه وقتها بالأشغال الشاقة لمدة ثلاث سنوات..

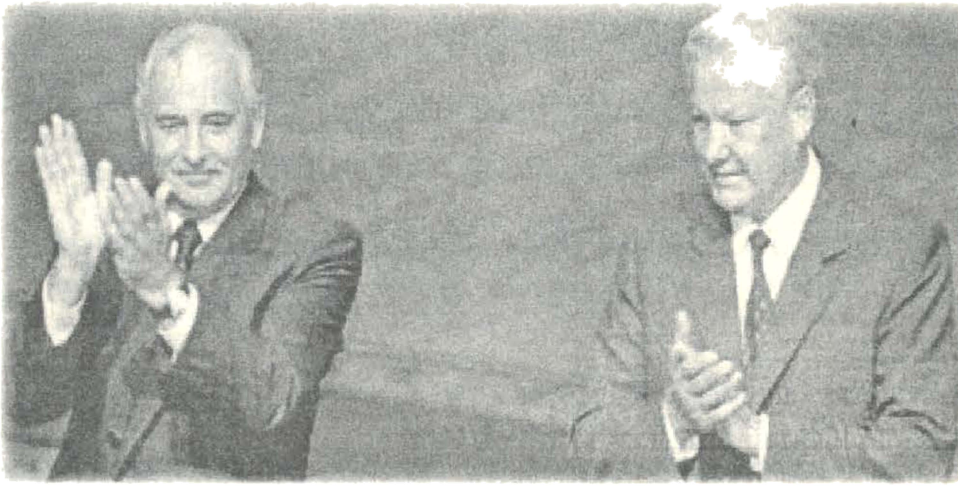
وكان منذ بداياته سواء طفلاً.. أم مراهقاً.. أم شاباً في بدايات شبابه مشاكساً مثيراً دائماً للمشاكل.. غير ملتزم ولا منضبط مع أسرته أو حتى معلميه.. يسعى ليتزعم زملائه ليقف في وجه كل شيء.. حتى أنه فقد أُصبعين من أصابع يده اليمنى عندما تسلل ذات مرة مع بعض أصدقاءه إلى حيث مستودع إمدادات الجيش الأحمر.. وسرقوا من هناك عِدة قنابل يدوية.. وحاولوا تفكيكها فانفجرت في وجوههم.

وبعد رحلة مع العبث السياسي والثوري انضم «يلتسين» لصفوف الحزب الشيوعي الروسي سنة 1968 ووقتها تم تعيينه رئيساً للجنة الحزبية الإقليمية للبناء في «سفيردلوفسك» وفي عام 1975 أصبح أميناً للجنة الإقليمية المسئوله عن التنمية الصناعية في المنطقة..

عندما أصبح يلتسين رئيساً..

ولا شك أن مثل هذه البدايات غير العادية لابد وأن تنعكس فيما بعد على كيفية إدارته لشئون بلاده رغم أن التاريخ يذكر له أنه كان أول رئيس شعبي مُنتخب في تاريخ روسيا.. وبناءاً عليه كان موضع أمل كبير للشعب الروسي الذي كان يتوق بشدة إلى يتنسم هواء الحرية والديموقراطية التي افتقدها طوال تاريخه تقريباً.. وبالتالي كان ينتظر منه أن يأخذ بيده ليعبر به عبر جسور الحرمان والقهر والقهر إلى شاطئ أكثر استقراراً وأمناً.. لكن جاءت الرياح إلى الشعب الروسي بما تشتهي سفنهم..

من هو «يلتسين»؟



هو أول رؤساء روسيا بعد تفكك وانهيار الاتحاد السوفيتي.. اسمه بالكامل «بوريس نيكولايفيتش يلتسين» من مواليد الأول من فبراير سنة 1931 وتوفي في الثالث والعشرين من أبريل سنة 2007..

ينظر الشعب الروسي دائماً لفترة حكمه باعتبارها واحدة من أكثر فترات تاريخهم المعاصر قمعاً.. وقهراً.. ولم يروا مثلها حتي أثناء الاحتلال الألماني النازي لبلادهم أثناء الحرب العالمية الثانية ولا حتى قبل الثورة البلشفية.. ويؤيدهم بعض الكُتاب الروس الذين غالباً ما يصفون فترة حكمه بأنها كانت «الأكثر ظلاماً في التاريخ الروسي الحديث»..

باختصار توالى على الشعب الروسي خلال فترة حُكم «يلتسين» العديد من الكوارث المتعددة والمشاكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية.. وانتشر الفساد والجريمة.. وسيطر رجال الأعمال على الاقتصاد القومى وانتقلوا بأموالهم إلى الخارج.. وشهدت مختلف مؤسسات الدولة في عهده انتشار ظاهرة الفساد داخل كل قطاعاتها بشكل غير مسبوق وانعكس هذا كله على الجيش الروسى.. بعد أن كان الجيش الثانى فى العالم وعلى المستوى الخارجى.. وفي النهاية أصيبت دولة روسيا بانهيار اقتصادي خطير عصف بكل قطاعاتها المؤسسية وتهاوت العملة الروسية أمام جميع العملات الأجنبية خاصةً الدولار..

الدولة إلى رئيس الوزراء فلاديمير بوتين الذي أصبح رئيساً بالوكالة.. وسط تكهنات سيثبت فيما بعد صحتها أنه المرشح الأقوى للانتخابات الرئاسية المبكرة التي عُقِدَ العزم على إجراءها في مارس 2000.

وقطع تلفزيون موسكو برامجه عند الظهيرة.. ليبث خطاب بوريس يلتسن الذي قال فيه بصوت تهدج:

(سأتحدث للمرة الأخيرة كرئيس لروسيا.. فبعد تفكير طويل وعميق قررت الاستقالة فإن من أمضى في الحكم سنوات طويلة يجب أن ينسحب لتدخل روسيا الألفية الثالثة بساسة جُدُد وشخصيات ذكية فاعلة ونشيطة).. وخيمَ عليه الصمت للحظات ثم تابع حديثه ليفند مزاعم من كان يتحدث عن كونه ينوي التشبث بالسلطة بأي ثمن.

أسباب الاستقالة

وفي تفسير لسبب إقدامه على الاستقالة قبل ستة أشهر من انتهاء صلاحياته الدستورية.. ذكر يلتسن أن أحواله الصحية غير المستقرة ليست السبب إنما أن عليه ألا يعوق المسيرة الطبيعية للتاريخ بالتشبث بالسلطة لنصف سنة أخرى فيما يوجد شخص قوي أكثر قدرةً منه على أداء المهمة) وكان يقصد بحديثه هذا (فلاديمير بوتين) وسماه تحديداً.. كأنه بذلك أراد أن يعزز حظوظ بوتين والإشارة ضمنياً إلى تقدم غريمه المحتمل (بريماكوف[1]) في السن.

في نفس اليوم كان يلتسين قد التقى بوتين واجتمع معه في حضور وزراء الدفاع والأمن والداخلية والخارجية وبطريرك عموم روسيا.. ثم اختلى به ليسلمه (الحقيبة النووية) ونسخة الدستور التي كان قد أقسم عليها اليمين.

تسليم طوعي متحضر

واعتبر يلتسن قراره بمثابة سابقة في التسليم الطوعي المتحضر للسلطة في روسيا.. وأنه

(1) المقصود هو يفكيني بريماكوف من مواليد 29 أكتوبر 1929.. وشغل منصب رئيس وزراء روسيا في الفترة من 1998 إلى 1999 كما شغل منصب وزير الشؤون الخارجية في الفترة من 1996 م إلى 1998 م.

فخلال فترة حكم «يلتسين» لروسيا والتي امتدت ما بين «10 يونيو 1991 و31 ديسمبر 1999» ذاق الشعب الروسي على يديه الأمرين فقد كان ديكتاتوراً في تطبيق ما يراه ويقتنع به من إصلاخات..

فبعد الثاني عشر من 1992 عندما تم انتخاب يلتسين رئيساً لجمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفياتيهة بأغلبية كاسحة وصلت إلى 57 ٪ من إجمالي الأصوات..

أصدر عِدة قرارات كان يراها هو وفريقه الرئاسي «إصلاحية واقتصادية جذرية» لكنها جاءت بنتائج عكسية أدت إلى انحسار دور الدولة وزيادة وتنامي ظاهرة الفساد الإداري وتسببت فيما يلي:

- تحطم مستويات المعيشة لمعظم السكان في روسيا..
- تدهور حاد في الخدمات ومستوي المعيشة..
- زيادة كبيرة في معدلات البطالة.. والفساد.. والتضخم.
- ظهور الجريمة المنظمة أو ما يعرف بالمافيا الروسية وتغلغلها في معظم مناحي الحياة في روسيا.

لكن استطاع «يلتسين» رغم كل ذلك الفوز مرة أخري في انتخابات سنة 1996 وظل في السلطة حتي سنة 1999 حينما استقال من منصبة فجأة خلال خطاب رسمي اعتذر فيه عن عدم استطاعته تحقيق أحلام الشعب الروسي.. ورشح خلفاً «فلاديمير بوتين» ليتولى المسئولية من بعده.

وكان يلتسن عندما ترك منصبه شخصية غير شعبية تماماً في روسيا حيث وصلت شعبيته إلى اثنين في المئة بحسب بعض التقديرات.

يلتسين سلم روسيا لبوتين

وقبيل ساعات معدودة من انقضاء الألفية الثانية.. وبداية الألفية الثالثة أعلن الرئيس الروسي بوريس يلتسن استقالته.. وقام بتسليم (الحقيبة النووية) وسائر صلاحيات رئيس

الوقت مظاهر الاستعجال في الأوساط المؤيدة لبوتين في مساعيها لفرضه بالقوة كرئيس قادم على الشعب الروسي.

- قادة الكتل اليمينية أعلنوا ارتياحهم لقرار يلتسين الذي وصفوه بأنه عامل حاسم لتقرير مصير السلطة في روسيا للسنوات القادمة.
- بعد الصدمة الأولى التي أحدثها القرار تراجعت قيمة الأسهم في البورصة لكنها عادت إلى الصعود وسجلت ارتفاعاتٍ غير مسبوقة بلغت أكثر من 16 في المئة. واعتبر ذلك دليلاً على ترحيب رجال الأعمال بتولي بوتين مقاليد السلطة في روسيا.
- اعتبر محافظ موسكو (يوري لوجكوف) الذي كان وقتها يشارك في رئاسة كتلة (الوطن كل روسيا).. قرار يلتسن جيداً ولكنه جاء متأخراً عن موعده.. بعد أن تفاقمت مشاكل يلتسين الصحية منذ سنة ونصف وكان عليه أن يتخذ القرار المناسب منذ فترة طويلة.
- دعا رئيس الوزراء الروسي السابق (فيكتور تشيرنوميردين) كل الأوساط السياسية الروسية للالتفاف حول بوتين ودعمه في موقعه المؤقت ثم الانتخابات الرئاسية في شهر المقبلة.

❋ ❋ ❋

وأخيراً جاء بوتين رئيساً لروسيا.. وبوتين الإنسان والرئيس هو موضوعنا في هذا الكتاب.. ولكننا رأينا بكلمتنا الأولى تلك أن نشعل ضوء أولياً أمام القارئ ببعض المعلومات عن كيف كانت روسيا قبل حكمه.. لتستقيم الصورة.. وظلالها..

❋ ❋ ❋

بذلك قد أنجز «قضية حياته».. مشدداً على أن روسيا لن تعود إلى الماضي بل ستواصل مسيرتها إلى الأمام..

يلتسين يعترف: كنت ساذجاً

وفي نهاية كلمته طلب يلتسين (المغفرة) من الشعب الروسي لأن الكثير من الوعود التي قدمها لهم لم تتحقق.. واعترف بأنه كان (ساذجاً) واخطأ في تقديراته حينما قرر الانتقال بقفزة واحدة من الماضي الرمادي إلى مستقبل أكثر تحضراً.

بوتين يبدأ مهامه الرئاسية

وبعد استقالة يلتسن.. عقد بوتين اجتماعين طارئين للحكومة ومجلس الأمن القومي.. بعدها خرج الناطق الرسمي باسم الكرملين ليؤكد عبر تصريحات صحفية أن السياسة الخارجية لروسيا لن تتغير.

ردود الأفعال

- ◻ اعتبر غالبية المراقبين السياسين داخل وخارج روسيا أن قرار يلتسن هو خطوة شجاعة غير متوقعة..
- ◻ أيدت غالبية السياسيين الروس قرار يلتسين الاستقالة وتسليم بوتين السلطة العليا في روسيا. إلا أن بعضهم لم يروا فوز القائم بأعمال الرئاسة أمراً حتمياً.
- ◻ صرح زعيم الحزب الشيوعي (جينادي زيوجانوف) إلى كون قرار يلتسين يعني ضمنياً أن حزبه الحاكم قد سقط بفعل نضال الشيوعيين والوطنيين.. ودعا إلى توحيد صفوف المعارضة لمنع الحكام الجُدُد من استغلال عنصر المفاجأة لكسب الانتخابات الرئاسية المبكرة التى أعلن عنها.
- ◻ ميخائيل جورباتشوف آخر زعماء الاتحاد السوفيتي أكد أن القرار محاولة لتكريس بوتين كـ (وريث للحكم) لكن حظوظ بريماكوف ما زالت قوية.. وانتقد في نفس

٥



بوتين

بورتريه بريشة الكلمات!!

بوتين
بورتريه بريشة الكلمات!!

اسمه بالكامل: فلاديمير فلاديميروفيتش بوتين..

هو الرئيس الحالي لجمهورية روسيا الاتحادية منذ سنة 1999 أولاً بالإنابة ثم بالانتخاب عبر ثلاث جولات انتخابية وحتى الآن..

وُلِدَ في السابع من أكتوبر سنة 1952 بمدينة «لينينجراد[1]» التي كانت تُعرف سابقاً بـ «سان بطرسبورج» وهي ثانى أكبر مُدن روسيا وتُعد واحدة من أعرق وأشهر مُدن روسيا والاتحاد السوفيتي على الإطلاق..

كانت أسرة بوتين أسرة بسيطة تتشارك المعيشة مع أسرتين أخريين في شقة مشتركة.. تتقاسم الإقامة بها الأسر الثلاث.. ومن المفارقات الغريبة أن جد بوتين لأمه كان يعمل طاهيًا لاثنين من أبرز زعماء الشيوعية «فلاديمير لينين» ثم «ستالين» على الترتيب الثاني بعد وفاة الأول .. أما الأم ترجع أصولها إلى منطقة «تفير[2]» وكانت تُدعى «ماريا أفانوفنا بوتين» عاشت طفولتها وبواكير شبابها وسط «حصار لينينجراد[3]» الشهير خلال الحرب العالمية الثانية.. وأنجبت

---

(1) هي مدينة روسية تقع شمال غرب روسيا في دلتا نهر نيفا.. شرق خليج فنلندا في بحر البلطيق.. وتُعتبر أحد أكبر مراكز أوروبا الثقافية.

(2) مدينة تفير تقع على بعد 165 كم من العاصمة موسكو وعلى الطريق الواصل بين موسكو وسانت بطرسبورج.. وهي إحدى أروع المدن السوفيتية ذات تاريخ عريق.. وهي من أهم مراكز الثقافة الروسية بتاريخها العريق وإنجازاتها المعاصرة..

(3) هي عملية عسكرية فاشلة قامت بها قوات دول المحور للاستيلاء على مدينة لينينجراد أثناء الحرب العالمية الثانية.. واستمر الحصار من 9 سبتمبر 1941 إلى 18 يناير 1943 عندما استطاع السوفيت فتح معبر بري إلى المدينة.. وتم رُفِعَ الحصار تمامًا في 27 يناير 1944 أي بعد 872 يومًا من بدء الحصار.

زواجه

وفي سنة 1983 تزوج بوتين من «لودميلا الكسندروفنا» وهي تصغره بحوالي ست سنوات وأنجبت له فيما بعد ابنتيه ابنتيه «ماريا» التي وُلدَتْ سنة 1985 و«كاترينا» التي وُلِدَتْ بعد شقيقتها بسنة واحدة أي في سنة 1986.. وُلِدَت «لودميلا» في السادس من يناير سنة 1958 بمدينة كالينينجراد.. وفي العام 1986 تخرجت في كلية الآداب جامعة لينينجراد العامة وتخصصت دراسياً في «فقه اللغة» وتتحدث الألمانية والإسبانية والفرنسية بطلاقة.. وعملت لودميلا قبل الزواج ممرضة ثم مضيفة طيران.. وهي تعتبر على نطاق واسع من الخبراء اللغويين المميزين في روسيا.. كما أنها خبيرة مهمة في الفنون الدرامية.

وبحسب ما كتبه بوتين نفسه عن تفاصيل زواجه بها عبر موقعه الالكتروني الرسمي.. قال أنه بوتين طلب يد لودميلا للزواج بعد ثلاث سنوات من تعارفهما.. ويؤكد ذلك بقوله:

«كنتُ أدرك أنني لو لم اتزوج خلال سنتين أو ثلاث فلن أتزوج على الإطلاق».

أما بخصوص ابنتي «بوتين» فهما تعيشان حياتهما في سرية تامة.. حتى التحاقهما بالجامعة كان بأسماء مستعارة.. وفيما بعد غير معروف للعامة عملهما ولا حتى أماكن إقامتهما..



صورة زفاف بوتين و لودميلا

فلاديمير وهي في سن الحادية والأربعين.. وبشكل عام فقد عاشت الأم حياتها امرأة بسيطة شديدة التدين في وقت كانت نزعة الإلحاد والشيوعية و«ألا دين» تنتشر كالوباء الطاغي في روسيا ومنها تنتقل إلى كلِ بقاعِ الأرض لتصبح موضة البشرية آنذاك.. لذا لا نندهش إذا علمنا أن الأم عَمَدت إلى تعميد «فلاديمير» سراً على يد قس أرثوذوكسي روسي..

أما والده «فلاديمير سبيريدونوفيتش» فقد شارك كجندي بالجيش الروسي في المعارك التي خاضتها بلاده أثناء الحرب العالمية الثانية دفاعاً عن لينينجراد.. وتعرض خلالها للإصابة بجراح متعددة خرج منها مُعاق جسدياً وربما هذا ما ترك في نفسية «بوتين الابن» أثراً كبيراً حدد فيما بعد كثير من نمط حياته.

وبجانب الأم والأب كانت الأسرة تضم ثلاث أبناء ذكور «فلاديمير» أصغرهم.. وتوفى الشقيقان الأكبر لبوتين وهما في صدر شبابهما..

رياضي بدرجة أستاذ



اهتم بوتين بدءاً من مراهقته وبواكير شبابه بفنون الدفاع عن النفس ومارس العديد منها مبكراً.. وفي سنة 1973 أصبح أستاذاً في لعبة «السامبو[1]» وفاز فيها بعدة بطولات محلية قبل أن يتركها ويتحول إلى ممارسة لعبة الجودو التي حصل فيها على الحزام الأسود عندما كان عمره ثمانية عشر عاماً فقط..

(1) السامبو: هي من فنون الدفاع عن النفس الروسية.. والمسمى مشتق من الكلمة الروسية.. وتعنى: «الدفاع عن النفس بدون أسلحة« واللعبة في مجملها عبارة عن تشكيلة من حركات فنون قتالية مختلفة.. اخترعها الجيش الروسي وحركاته تشتمل على خليط من تكنيكات المصارعة والجوجيتسو.. وينقسم هذا الفن إلى قسمين رئيسيين: «قسم للرياضة وقسم قتال الشوارع».

كيف جاء الطلاق؟

أعلن الزوجان فيما بعد أن طلاقهما كان «طلاق حضاري» بعد أن أصبح الزواج عبئاً عليهما.. وجاء أيضاً كنهاية لقصة زواج «حضارية» على حد وصفهما.. فهما اتفقا على الانفصال وأعلنا النهاية بشكل رومانسي بعد حضورهما حفلة باليه «إيسميرالدا [1]» كان الراقصون فيها: «يتطايرون كما الفراشات» حسب وصف الزوجة نفسها..

قبل إعلان الطلاق كانت شائعاته قد بدأت تحوم ملاحقة الزوجين تحديداً منذ أن أنهى الرئيس بوتين ولايته الرئاسية الثانية عام 2008 فمنذ ذلك الحين قلّ ظهور الزوجين في المناسبات الرسمية.. وكان آخر ظهور علني للزوجة لودميلا في حفل تنصيب بوتين رئيساً لروسيا للمرة الثالثة في السابع من مايو 2012.

هل كان متناقضاً؟

الغريب في أمر انفصال بوتين هو سعيه الدائم والمتواصل مع طاقم حكومته لدعم منظومة العائلة الروسية وتشجيع الروابط الأسرية عبر حزمة من التشجيعات والتسهيلات المالية والإدارية.

على كل الأحوال فالمؤكد أن قرار الانفصال كان يعكس الكثير من الجرأة لبوتين.. وأظهر من خلاله شجاعة كبيرة..

وقع الخبر على الشارع الروسي

كخبر صادم.. تلقى الشارع الروسي خبر انفصال رئيسه.. لكن سرعان ما عادت الحياة تسير على وتيرتها الأولى.. فما حدث هو أمر شخصي يحدث كل يوم بين بشر عاديين..

***

(1) عن إحدى روايات الكاتب الفرنسي فيكتور هوجو..



الزوجان يحملان طفلتهما الأولى يوم تعميدها

وأزمة طلاقه

وفي يونيو 2013 فاجأ الزوجان الرأي العام الروسي والعالمي بخبر انفصالهما المفاجئ بعد 30 عاماً من الزواج.. وقام بوتين نفسه بإعلان الخبر من خلال التلفزيون الروسي وتحديداً من خلال محطة «فستي» التلفزيونية الإخبارية بشكل رسمي.. وقال مبرراً ذلك أنه طلق زوجته لأسباب تتعلق بمسئولياته وعمله وتحديداً:

«إن حياتي الآن مُكرسة للعمل وأنا شخصية عامة وهذا الوضع لا يروق لبعض الناس ومنهم زوجتي لودميلا التي تحملت هذا الوضع 9 سنوات».

وبعدها وفي مقابلة أجراها التلفزيون الحكومي الرسمي مع الزوجين قالت لودميلا: «أنها ممتنة لبوتين على وقوفه بجانبها ودعمها..

بينما أثنى بوتين على ما وصفه بـ «حراستها له» خلال تسع سنوات من مهامه كرئيس للبلاد...

وقال بالحرف: «سنكون دائماً قريبين جداً.. أنا متأكد.. وإلى الأبد».

وبذلك أصبح «فلاديمير بوتين» هو أول رئيس روسي يعلن طلاقه من زوجته..

□ الجاسوسة الحسناء «آنا تشابمان[1]» التي أنقذتها الاستخبارات الروسية من السجن في الولايات المتحدة عبر صفقة أثارت جدلاً في حينه..

الكرملين ينفي

مثل لكن من بين كل ردود الأفعال بقي تأكيد الكرملين شبه الرسمي هو الأقوى.. حيث أكد المتحدث الإعلامي باسم الكرمبلين أنه لا صحة على الإطلاق لوجود علاقات نسائية للرئيس الروسي وراء انفصاله عن زوجته.. وبين نفي الكرملين الرسمي والإشاعات الكثيرة حول علاقات الرئيس الروسي.. بقيت الحقيقة مُعلقة.

بوتين.. مقدمات حياتية تؤدي إلى نتائج منطقية

كان «فلاديمير بوتين» طوال حياته الدراسية متفوقاً ولافتاً للنظر بما يتمتع به من كاريزما خاصة.. وعقب تخرجه من كلية الحقوق بجامعة لينينجراد سنة 1975 ونظراً لتميزه الظاهر وسط باقي أقرانه تم اختياره للعمل في لجنة أمن الدولة «كي. جي. بي» بالاتحاد السوفييتي - سابقاً بالطبع - وحصل خلال هذه الفترة على درجة الكانديديات.. التي تعادل درجة الدكتوراه في الاقتصاد..

وفي سنة 1984 أرسل بوتين إلى أكاديمية «الراية الحمراء[2]» التابعة لـ «كي. جي. بي» ومدرسة المخابرات الأجنبية.. وبعد انتهاء دراساته بها في سنة 1985 تم تعيينه في «ألمانيا الشرقية[3]» حيث خدم حتى سنة 1990.

السمات الشخصية لبوتين

إذا حاولنا أن نرسم بالكلمات ملامح شخصية بوتين كرئيس من خلال مواقفه الوطنية

(1) سنتحدث عنها هي الأخرى بالتفصيل لاحقاً ضمن سطور فصل «رجال ونساء حول بوتين»..
(2) هناك وسام يحمل نفس الاسم وسام «الراية الحمراء» تمنحه ولاية بيتروزوفودسك الروسية..
(3) قبل توحيد شطري ألمانيا فيما بعد.. وكانت تُعرف أيضاً بـ «جمهورية ألمانيا الديموقراطية السابقة»

هل علاقات بوتين النسائية هي سبب انفصاله؟

بالطبع كان هناك ردود أفعال شعبية ورسمية تتعلق بموضوع انفصال بوتين متسائلةً عن الدافع وراء ذلك.. وما هي أسبابه.. خاصةً أن الشعب الروسي مثله مثل باقي شعوب العالم بمجرد الإعلان عن انفصال أي زوجين يسأل مُباشرةً: هل هناك علاقات نسائية للرجل؟ خاصةً إن كان مسئولاً سياسياً أو شخصية عامة مهمة..

وفَتَشَ الروس كثيراً في هذه المسألة التى ولعت بها بشكل أكبر المرأة الروسية لدرجة أن بعضهن شكل مجموعات شبابية خصصت نشاطها لرصد كل تفاصيل حياة رئيسهن الدون جوان..

وعلى مدى سنوات بوتين الرئاسية دارت أحاديث عِدة عن علاقات كثيرة أقامها مع حسناوات من رياضيات وفنانات ونجمات مجتمع شهيرات قادتهن الأقدار ليدخلن مع عدد آخر ضمن أجندة بوتين النسائية.. لكن من بين كل ما تناولتهن الشائعات توقف الجميع وتوقفت محاولات البحث عند اسمين أساسيين هما:

- لاعبة الجمباز (إيلينا كابايفا[1]» والتي يعتبرها كثيرون عشيقة بوتين الوحيدة ويراها أكثر أنها السبب الرئيسي وراء هدم حياته الزوجية وانفصاله.. وبدأت قصتها مع بوتين عام 2008 بعد أن نشرت صحيفة خاصة يملكها البليونير الروسي »ألكسندر ليبيديف» قصة العلاقة بينها وبين الرئيس وسرعان ما حُجِبت الجريدة.. وقيل وقتها إن ليبيديف أغلقها في محاولة لاسترضاء بوتين وتجنب ردّ فعله.. الإشاعات التي ترددت وقتها أكدت وجود أطفال مشتركين.. وعن تطور العلاقة بشكل أغضب زوجة الرئيس.. وجعلها تمتنع عن الظهور العلني ومرافقته في جولاته.. ما دفع بوتين في عام 2011 إلى إصدارَ أول نفي رسمي معلن لهذه العلاقة.. معلناً أنه سيبقى إلى الأبد مع زوجته.. لكن ذلك الإعلان لم يستمر أكثر من سنتين حتى جاء الانفصال..

(1) سنتحدث عنها بتفاصيل أكثر لاحقاً ضمن سطور فصل »رجال ونساء حول بوتين»..

تتخاذل أمام أى من كان فى الدفاع عن مصالحها وعن مصالح الروس والناطقين باللغة الروسية بالخارج..

رياضي

وتحدثنا فيما سبق عن ممارسته وتميزه في أكثر من فن قتالي..

يهوى الفورميلا

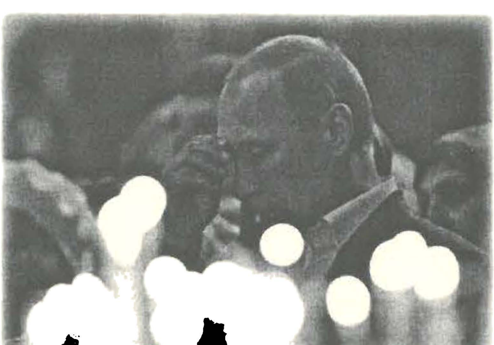
تُعتبر من أهم هوايات الرئيس الروسي عشقه لقيادة سيارات الفورمولا.. وكذلك ركوب الخيل أيضاً..

قارئ ممتاز

ويشتهر «بوتين» بشغفه بكل فنون القراءة الأدبية والتاريخية خاصةً روايات التجسس..

شديد التدين

يحرص «بوتين» دائماً على مراجعة الكنيسة الروسية الأرثوذكسية.. والظهور دائماً كرجل «بوتين» وفي سبيل ذلك عارض تماماً وأدان ما يُعرف بالزواج المثلي ووصفه بأنه «من أعمال الشيطان».



فسنلاحظ أنها لا تختلف كثيراً عن سماته الإنسانية الأساسية والبارزة بقوة من خلال إدارته لحياته الخاصة.. وأن روسيا تستطيع أن تعيش بدونه.. لكن طالما أنه يعيش فيها ويشغل منصب الرئاسة.. فإنه يرى لزاماً عليه أن يعمل لصالحها ويبذل من أجلها قصارى جهده لحمايتها مصالحها.. وحماية مصالحها.. وعندما أراد أن يؤكد على عِظمِ إيمانه بوطنه وشدة حبه لبلاده.. قال ذات مرة:

«أنا أرتبط بالأرض الروسية ارتباطا لا ينفصم»

عنيد.. لا يستأذن أحد في مصالح بلده..

أكثر من مرة وفي تصريحات صحفية وإعلامية متعددة أكد الرئيس «بوتين» أنه لا يستأذن أحد أياً كان في ممارسة حقه المشروع والبديهي في دفاعه عن مصالح بلاده..

مستقل الإرادة

مرات أخرى عديدة شدَدَ على أن بلاده لن تسمح لمن يدّعى الحق فى تقرير مصير العالم ـ يقصد بالطبع أمريكا ـ وتحاول أن تعيد ترتيبه ترتيبا يحلو لها أن تتدخل فى شؤوننا..

نحن لا نستأذن أحداً

«لا يستأذن الدبّ أحداً.. فهو سيد غابات التايجا عندنا.. ولا ينوى النزوح إلى المناطق المناخية الأخرى.. لكنه لن يتنازل عن المنطقة الخاصة به» هكذا قال ذات مرة..

قوي يرفض الضعف

وذكّر بوتين بأن الذين اعتبروا أن الاتحاد السوفييتى ضعيفاً مثل جمهورية فولتا العليا.. تحاشوا مع ذلك الدخول فى مواجهة معه خشية أن تضربهم «فولتا العليا» بصواريخها.. واستطرد: «عندما تفكك الاتحاد السوفييتى رأوا أن بإمكانهم ألا يعملوا لنا حساباً.. وأنه لا يجوز لنا أن ندافع عن مصالحنا.. لن يكون هذا أبداً.. فروسيا التى يصفها البعض بـ «الدبّ» لا

الفصل الأول

1



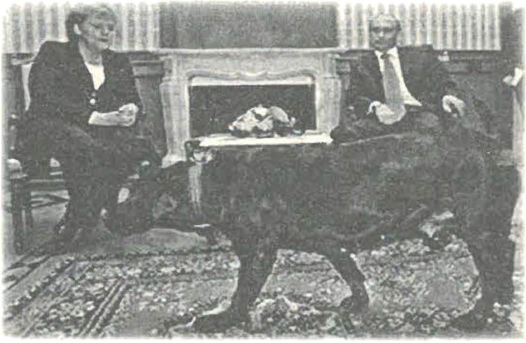
رحلة صعود

بوتين السياسية!!

بوتين وكلبه وعشقه للحيوانات

يسعى (بوتين» دوماً ليبدو وكأنه رجل قوي ومهتم بالحفاظ على الحياة البرية عاشق للحيوانات.. ونراه شديد الارتباط بكلبته » كواني» بشكل كبير حتى أنه يحرص على اصطحابها معه في مكان.. وقد ظهرت معه في لقاءه الشهير بالمستشارة الألمانية »إنجيلا ميركل» الأمر الذي أثار وقتها جدلاً إعلاميًا واسعاً..





وليس كلبته الأثيرة فحسب ولكن تتسع قاعدة اهتمام الرئيس الروسي لتشمل أنواع أخرى من الحيوانات فقد قام ذات مرة بإطلاق سراح نمور يتيمة من سلالة »أمور» النادرة في البرية

ونشرت له الصحافة العالمية عدة لقطات وهو يجذب حبلاً للمساعدة في فتح البوابة والسماح للنمور بالانطلاق خارج الأقفاص.

***

1
رحلة صعود
بوتين السياسية!!

خلال مشوار حياته كان بوتين دائماً حاضراً وبقوة في المشهد الرسمي والسياسي لدولته.. لافتاً الأنظار إليه بقوة ثقافته الشديدة وذكاءه الحاد.. وكان من الشخصيات المُحبب التواصل معها بالنسبة للصحافة والرأي العام العالمي ربما نظراً لإتقانه أكثر من لغة من بينها الإنجليزية والألمانية بجانب لغته الأم وهي اللغة الروسية.. ربما لتميزه في مجال السياسة والاقتصاد خاصةً إذا عرفنا أنه حاصل أيضاً على دكتوراه العلوم الاقتصادية

وظائف ومناصب تولاها بوتين

كل هذا مَهَدَ الطريق لبوتين بقوة ليشغل العديد من المناصب الهامة والحساسة في حكومة بلاده.. ولينتهي به المطاف رئيساً لبلاده.. وكان من بين هذه المناصب:

- منصب مساعد رئيس جامعة لينينجراد للشئون الخارجية منذ سنة 1990 وكان مسؤولاً عن القضايا الدولية..
- منصب رئاسة لجنة الاتصالات الخارجية «لجنة العلاقات الدولية» في بلدية «لينينجراد» يونيو 1991
- بعد أن أُعِيدَ انتخاب سوبتشاك عمدة لسانت بطرسبرج في 12 يونيو سنة 1991 تم تعيينه رئيساً بمكتب العمدة ليشرف على سياسات الاستثمار والمشروعات المشتركة مع شركاء الأعمال الأجنبية.

وأخيراً رئيساً مُنتخباً لروسيا..

بعدها بشهرين تم انتخاب بوتين لرئاسة روسيا الاتحادية ثم أعيد انتخابه بعدها ثلاث مرات متتالية.. كانت تواريخها كالتالي:

- ☐ انتخب لأول مرة في السادس والعشرين من مارس سنة 2000م.
- ☐ الثانية في الرابع عشر من مارس سنة 2004م.
- ☐ الثالثة في 4 مارس 2012م.

وفي عام 2013 حصل «بوتين» على المركز الأول في قائمة مجلة «فوربس» لأكثر الشخصيات العالمية تأثيراً.

❋ ❋ ❋

- ثم جمع بين المنصب السابق وتوليه منصب النائب الأول لـ «أناتولي سوبتشاك» رئيس حكومة مدينة سانت بطرسبورج منذ سنة 1994..
- وفي ربيع سنة 1995.. أدار بوتين حملة انتخاب العمدة التي قام بها سوباتشاك.. وبعد أن خسر سوباتشاك.. استقال بوتين من جميع مناصبه.
- أغسطس 1996 تم تعيينه نائباً لمدير الشئون الإدارية في الرئاسة الروسية
- وفي يوم 26 مارس سنة 1997.. تم تعيينه نائباً في إدارة الرئاسة..
- ثم رئيساً لإدارة الرقابة في الكرملين.. وهي الإدارة التي تشرف على تنفيذ القرارات الرئاسية.
- وفي مايو 1998 أصبح نائباً أول لمدير ديوان الرئيس الروسي.. ومدير ديوان الرئيس الروسي ورئيساً لإدارة الرقابة العامة.
- وفي يوليو 1998 مديراً لجهاز الأمن الفيدرالي في روسيا الاتحادية.
- في نفس الوقت شَغِلَ منصب أمين مجلس الأمن في روسيا الاتحادية بدءاً من مارس 1999. وفى مارس من عام 1999 بينما كان لا يزال يرأس جهاز الأمن الفيدرالى..
- وفي أغسطس 1999 أعلن «بوريس يلتسن» فجأةً عن إقالته «سيرجى ستيباشين» رئيس وزراء حكومته الذي كان وقتها هو رابع رئيس وزراء يقوم «يلتسين» بتعيينه خلال 16 شهرا.. وعين مكانه «بوتين» ليصبح رئيساً لحكومة روسيا الاتحادية.. وفى هذا الوقت قال يلتسين أن «بوتين» هو خليفته المختار وهو أفضل شخص سينعش الدولة العظمى في روسيا وينقلها إلى القرن الواحد والعشرين..

ثم رئيساً بالوكالة..

ومنذ الحادي والثلاثين من ديسمبر سنة 1999 تولى اختصاصات رئيس روسيا الاتحادية بالوكالة بعد الاستقالة المفاجئة للرئيس بوريس يلتسن..

الفصل الثاني

2



بوتين رئيساً!!

2

بوتين رئيساً!!

جاء بوتين لكى يقدم للشعب الروسي صورة الشاب المصمم على استعادة قوة ووضع بلاده السابق داخلياً.. وخارجياً وقد اعتمدت استراتيجية بوتين منذ البداية على ما يلي:

- ☐ دعم السلطة المركزية للدولة..
- ☐ تشديد قبضة الحكومة على مؤسساتها الاقتصادية ..
- ☐ تقويض سلطة ما عرف بأباطرة المال (Oligarchs) بل واعتقل بعضهم[1]..
- ☐ السيطرة الدولة على ثروات روسيا من الطاقة والغاز.. وصادف أن تلازم هذا مع ارتفاع أسعار البترول العالمية..
- ☐ اختيارحكام الأقاليم من شخصيات يعرفهم ويثق فى قدراتهم.. وامتدت هذه السياسة إلى التى كاد فى عهد يلتسين يكونون كيانات مستقلة.. ولذلك اتجه بوتين إلى تعيينهم بدلاً من انتخابهم..

وعقب آخر انتخابات رئاسية شهدتها روسيا والتى انتهت ببوتين ليحمل مقاليد ولايته الأخيرة تأكد حصول «بوتين» من خلال أولى نتائج عمليات الفرز آنذاك على نسبة تفوق الـ 50 % المحددة كانت نسبة الفرز وقت إعلان فوزه الرئاسي حوالي 80 % فقط من أصوات

---

(1) سنتحدث عن واحدٍ منهم فيما بعد بالتفصيل وهو ميخائيل خودوركوفسكي

الأولى والثانية(2000 - 2004 و 2004 - 2008) حيث فضل وقتها الإقامة في منزله الخاص واعتاد أن يجري فيه بعض لقاءات العمل.. كما استقبل أيضاً به شخصيات دولية مرموقة..

هذا هو مشهد آخر مشاهد مشوار بوتين الرئاسي..

فكيف سارت به مقاليد حكمه؟

نقول أن «بوتين» وخلال مشواره الرئاسي نجح بالفعل في قيادة سفينة بلاده داخلياً.. وخارجياً.. وحقق تقدماً ملحوظاً في تعزيز السلطة المركزية داخل روسيا.. وعَمِلَ على إحداث توازن واضح في العلاقات بين الجهاز التشريعي بالدولة ووكالات تطبيق القانون.. ووضع لحكومته استراتيجية محددة تتلخص في محاور أساسية متعددة كانت كالتالي كهدف ونسبة تحقيق:

- مضاعفة إجمالي الناتج المحلي خلال 10 سنوات.. فبينما كان مجموع الناتج القومى عام 1999 أقل من 200 مليون دولار.. إلا أنه ارتفع مع بوتين إلى 1.3 تريليون دولار.
- بلغت مستويات النمو الاقتصادي حوالي (7 %)
- الحد من الفقر بصورة كبيرة.. والقضاء على شبح البطالة بين أوساط الشعب الروسي بدرجة ملحوظة فتمكن من ذلك.. وارتفع الدخل الحقيقي للسكان بنسبة 50 في المئة.
- تحديث القوات المسلحة لضمان التنمية الوطنية.. وهو ما وجه بوتين اهتماماً كبيراً نحوه خاصةً في مجال قدراته الصاروخية والاستراتيجية وكذلك البحرية..
- وصل الاحتياطي الأجنبي للبنك المركزي.. إلى رقم قياسي هو 84 بليون دولار.
- سددت روسيا جميع ديونها الخارجية.. وبلغ إجمالي ما سددته روسيا حوالي 50 بليون دولار..
- أصبح الاقتصاد الروسى هو الاقتصاد التاسع فى العالم..

ولأنه كان في النهاية يهدف إلى الوصول لمعدل نمو اقتصادي متميز.. فمن الأرقام السابقة يمكننا القول أنه تمكن بالفعل من تحقيق ذلك.. وبلغة الأرقام يمكننا القول إنه وبعد حوالي خمسة عشر عاماً من الحكم تمكن بوتين من تحقيق كل ذلك.

الناخبين الروس أي أن الرجل فاز باكتساح ووفقاً للدستور الروسي[1] لم يكن هناك ما يدعو لجولة انتخابية أخرى..

المعارضة الروسية تتهمه بتزوير الانتخابات

لكن لم تسكت المعارضة الروسية فتعالت صيحاتها متهمةً بوتين واتهمته بتزوير الانتخابات وخرج على أثر ذلك مظاهرات مؤيدة ومعارضة لهذا وذاك..

ميدفيديف رئيساً لفترة واحدة

وبعد انتهاء ولاية بوتين الثانية سنة 2008 كان طبقاً للدستور الروسي لا يجوز له الترشح لفترة ثالثة.. وجرت انتخابات الرئاسة هناك وفاز فيها لاحقه (ميدفيديف) ليمكث في رئاسة روسيا أربع سنوات لم يكن بوتين بعيداً خلالها عن المشهد الرئيسي لبلاده.. ولكن بالطبع ليس بشكل رسمي.. حتى جاءت انتخابات 2012 ليتقدم بوتين للانتخابات ثانيةً ويفوز فيها ليبدأ ولايته الثالثة..

واستقر بوتين في منصب الرئيس

استلم بوتين مقاليد الحكم للمرة الثالثة في حياته السياسية ليحكم لست سنوات هذه المرة وليس أربع بعد تعديل الدستور الروسي.. وبعد المراسم التي نقلتها أهم القنوات التلفزيونية والفضائيات العالمية على الهواء مباشرة وصل بوتين الكرملين.. ثم صعد الدرج الرئيسي المؤدي إلى قاعة (آندر ييفسكي زال) حيث كان الرئيس السابق (ميدفيديف) قي انتظاره.. وأدى القسم الدستوري أمام 2000 من الحضور المدعوين وتسلم رسمياً مقاليد الحكم..

بعد المراسم

هذه المرة اختار بوتين أن يعيش في القصر الرئاسي على عكس اختياراته السابقة في ولايتيه

(1) كانت النسبة المُعلنة وقتها تحديداً هي: 64.72 % من إجمالي الأصوات..

الفصل الثالث

3



بوتين..

ضد أمريكا!!

لماذا كل هذه الشعبية الطاغية لبوتين؟

لكل الأسباب السابقة نقول أن بوتين استحق بالفعل ما يتمتع به من شعبية طاغية بين أوساط كافة طبقات المجتمع الروسي .. فهو من وصل باقتصاد بلاده إلى ازدهار غير مسبوق من قبله.. وارتفع مستوى معيشة الشعب الروسى..

كل ذلك يفسر الشعبية الجارفة التى اكتسبها بوتين والتى وصلت فى بعض استطلاعات الرأى العالمية إلى 70 %

أما دولياً

أما على المستوى الدولي فقبل بوتين تعود العالم على فكرة انحسار روسيا داخلياً وتراجعها من المشهد الدولي برمته بسبب أن ضعف روسيا كان قد وصل إلى أبعاد مزمنة.. وبدا العالم كما لو كان عالماً بدون روسيا.. وإن تدخلت فإنها تلعب دوراً دولياً متناقضاً فى الشئون الدولية ظهر بوضوح في موقفها من بعض القضايا الرئيسية مثل (إقليم كوسوفو) ومشكلة الصواريخ الدفاعية الأمريكية فى أوروبا.

لكن فيما بعد وصول بوتين للحكم واستقرار بلاده وعودتها إلى مضمار القوى الكبرى وبفضل إنجازاته الرئيسية فقد اضطر العالم للاعتراف بأن روسيا قد عادت إلى مكانتها المستحقة عالميا بما يتناسب مع تاريخها ومكانتها كقوة عظمى نووية وتبوأت مقعدها فى معظم المجالس المهمة مثل: مجموعة الثمانى[1].. ومجلس الناتو..

---

(1) مجموعة الثمانية أو مجموعة الدول الصناعية الثمانية تضم الدول الصناعية الكبرى في العالم.. أعضائها هم: (الولايات المتحدة الأمريكية.. اليابان.. ألمانيا.. روسيا الاتحادية.. إيطاليا.. المملكة المتحدة.. فرنسا.. وكندا) ويمثل مجموع اقتصاد هذه الدول الثمانية 65 % من اقتصاد العالم وتضم أغلبية القوة العسكرية العالمية وتحتل 7 من 8 مراكز بين الدول الأكثر إنفاقاً على التسلح وتقريباً كل الأسلحة النووية عالمياً.. أنشطة المجموعة تتضمن مؤتمرات على مدار السنة ومراكز بحث سياسية مخرجاتها تتجمع في القمة السنوية التي يحضرها زعماء الدول الأعضاء.. أيضاً.. يتم تمثيل الاتحاد الأوربي في هذه القمم.. وكل عام هناك دولة من بين الدول الأعضاء في المجموعة تتولى بالتناوب رئاسة المجموعة.. تضع الدولة الحائزة على الرئاسة الأجندة السنوية للمجموعة وتستضيف القمة لتلك السنة.. ودخلت عضوية روسيا في مجموعة الثماني في خطر.. بسبب تدخلها في أزمة القرم 2014 وفي هذه الحالة فستقتصر المجموعة على 7 أعضاء وستحل لندن مكان سوتشي..

3

بوتين..
ضد أمريكا!!

ثلاث رؤساء أمريكيين عاصروا فترة حكم «بوتين» فشلوا جميعاً فى فهم الرئيس الروسي.. أو حتى فك طلاسم شخصيته وشفرتها.. وبالتالي لم يستطيعوا إرغامه هو وبلده «روسيا» على السير في ركابهم..

وفي واحدٍ من حواراته المتعددة للرأي العام العالمي قال بوتين:

«إن أحد زعماء أوروبا الشرقية أخبره بأنه لا يستطيع أن يعين وزيراً جديداً للدفاع أو حتى رئيس جديد لأركان الجيش دون موافقة السفير الأمريكي في بلاده».. وفى خطابٍ له أمام البرلمان الروسى فى مايو سنة 2006 أشار إلى أن ميزانية التسلح الأمريكية تفوق ميزانية التسلح الروسية بخمسة وعشرين مثلاً.. وبالتالى فإنه على روسيا أن تبنى حصنها.. وأشار إلى أن سباق التسلح وصل إلى مستوى تكنولوجى جديد.

بهذه الكلمات الموجزة حدد بوتين نظرته الخاصة لأمريكا عدو بلاده الأول واللدود.. فكيف تنظر الإدارة الأمريكية إذن لبوتين؟

والرؤساء الثلاثة الذين تحدثنا عنهم هم على الترتيب: « كلينتون ـ بوش الابن ـ أوباما[1]» إذن ما أسباب ذلك..

هل السر في الرجل؟

---

(1) جاء ذلك ضمن تقرير صحفي خاص نشرته صحيفة «نيويورك تايمز» واستطلعت من خلاله آراء بعض المسئولين الأمريكيين في هذا الشأن.

- تعتبر الولايات المتحدة وروسيا أن العلاقات بينهما لم تعد علاقات الخصوم أو الأعداء المتنافسين.. و إنما علاقات صداقة ومشاركة قائمة على الثقة المتبادلة والاحترام والالتزام المشترك بالديمقراطية.. والحرية الكاملة..
- ستعمل الدولتان على إزالة آثار العدوان الذى ترتب على حالة العداء الذى كان قائماً بينهما..
- اتخاذ الإجراءات الضرورية لخفض ترسانة الأسلحة الاستراتيجية ..
- تعمل الدولتان على توفير سعادة ورفاهية الشعبين.. ودعم الروابط بينهما قدر الإمكان.. على أساس الانفتاح والتفاهم
- تعمل الدولتان معاً على أُسس حرية التجارة.. والاستثمار.. والتعاون الاقتصادى..
- تبذل الدولتان كل جهد لكى تزيدان من فاعلية القيم الديمقراطية وحكم القانون واحترام حقوق الإنسان.. والأقليات.. والحدود..
- تعمل الدولتان معاً على منع انتشار أسلحة الدمار الشامل..
- منع انتشار الأسلحة الاستراتيجية المتقدمة..
- إنهاء الصراعات الإقليمية سلميا..
- مواجهة الإرهاب وانتشار المخدرات والمحافظة على البيئة..

وأضافت وثيقة كامب ديفيد أنه اعتباراً من تاريخ توقيعها.. سوف تعمل الدولتان على إنهاء الصراع والخلاف من خلال (صداقة مشتركة وتحالف جديد بين شريكين يعملان معا لمواجهة الأخطار المشتركة..

❋ ❋ ❋

انتهت سنوات الضعف والمهانة

ونعود إلى بوتين ثانيةً لنقول أنه بهذه الكلمات طالب بوتين الولايات المتحدة والغرب بأن

أم في حكومته؟

أم في طبيعة العلاقة التاريخية بين البلدين خاصةً في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية ومروراً بما يُعرف تاريخياً بـ (الحرب الباردة)..

نقول ربما للثلاث أسباب معاً.. فبوتين عنيد.. معتز أقصى درجات الاعتزاز بنفسه وقوميته وبلاده.. وطبيعة العلاقة بين الدولتين في أبعادها السياسية والاجتماعية والاقتصادية تؤكد ذلك أيضاً..

وما بين هذا وذاك.. وذلك نستعرض معاً من خلال هذا الفصل كيف دارت دفة العلاقة بين البلدين خلال فترة حكم بوتين.. ونبدأ بتفاصيلها قبل وصوله للحكم مباشرةً..

❋❋❋

تحالف لم يدمُ

أثناء حكم يلتسين ركزت روسيا على التحالف مع الولايات المتحدة من منطلق القبول بالمنظور الأمريكى للعلاقات الدولية.. وإعطاء التنازلات من طرف واحد وقد كان أول تطبيق لهذا التوجه هو زيارة يلتسين للولايات المتحدة فى فبراير سنة 1992 ففى تلك الزيارة.. أشار يلتسين إلى أن روسيا تسعى لبناء (سياسة خارجية غير أيديولوجية» وأنها ستبذل قصارى جهدها ـ للتعاون مع الغرب لإعادة بناء روسيا الجديدة.. وعرض على الولايات المتحدة بناء درع عالمية ضد الصواريخ تحمى (العالم الحر» وتعتمد على تكنولوجيا أمريكية ـ روسية وأكد يلتسين أن روسيا لن تصوب صواريخها النووية صوب المدن والقواعد العسكرية الأمريكية (فأمريكا لم تعد عدواً محتملاً لروسيا.. بعد أن تغيرت العقيدة العسكرية الروسية..

كامب ديفيد روسيا وأمريكا

وقد جسد يلتسين هذا كله فى (وثيقة التعاون الأمريكى ـ الروسى» التى وقعت فى كامب ديفيد فى فبراير سنة 1992 بين الرئيسين الأمريكى بوش.. والروسى يلتسين ونصت الوثيقة على أسس التحالف بين الدولتين.. والذى ارتكز على ستة جوانب هي:

بأنهما إذا ما سمحتا للولايات المتحدة بنشر صواريخ دفاعية على أراضيهما.. فإنهما يمكن أن تستهدفا بالصواريخ الروسية هذا التحذير أعيد تكراره بعد ذلك عن طريق بوتين نفسه.. معيدا إلى الذاكرة ربع قرن مضى.. حين صدر عن متحدث سوفيتى تهديدات مشابهة للبلدان الأوروبية فى الأزمة التى نشبت حول خطط الولايات المتحدة نشر صواريخ برشنج وكروز فى أوروبا. ولكى يدلل على أن خطابه فى ميونخ لم يكن واقعة منعزلة.. وأن روسيا لا يمكن إغفالها.. وأن عدم رضاها عن سياسات الأمن الغربى لا يمكن تجاهله.. فقد قدم بوتين تحذيرات مشابهة فى خطابه القوى أمام البرلمان فى 27 أبريل 2007.. حيث انتقد بشدة الولايات المتحدة وحلفاءها الغربيين لافتقارهم للاحترام الواجب لمصالح بلده وردا على التحدى المتصور لروسيا.. الذى تفرضه الخطط الأمريكية لنشر الصواريخ الدفاعية.. أعلن بوتين أن روسيا سوف توقف التزاماتها وفقا لمعاهدة القوات التقليدية فى أوروبا.. وهى المعاهدة التى وقعت عام 1990.. بعد 15 عاما من المفاوضات.. وكانت علامة على إنجاز يشير إلى نهاية المواجهة العسكرية بين الشرق والغرب وهكذا.. فإن بوتين لم يكن ليلتقط هدفا أكثر رمزية لتحركه الانتقامى.

❋❋❋

انتقادات وجهها بوتين لأمريكا

روسيا ومعارضته أمريكا في غزو العراق:

بنت روسيا سياستها بشبه تكامل متزامناً ومتوحداً مع معارضة (ألمانية ـ فرنسية) للسياسة الأمريكية في مسألة الغزو الأمريكى للعراق سنة 2003 دون ترخيص من مجلس الأمن.. وبعد اكتمال الغزو.. طالب بوتين بأن تستكمل لجان التفتيش على أسلحة الدمار الشامل أعمالها وتعلن نتائج جهودها.. وهو ما أصرت الولايات المتحدة على رفضه.. وذلك بإصرارها على إنهاء عمل تلك اللجان.

❋❋❋

السياسة الأمريكية الأحادية والانفرادية..

تعامل روسيا باحترام وكقوة لها مكانتها ودورها العالمى.. وفي دائرة إعلانه تحديه لأمريكا استخدم لغة حادة فى رفض الهيمنة الأمريكية.وأدار هذا الملف على المحاور التالية:

- معارضة سياسات الولايات المتحدة والغرب فى مد حلف الناتو إلى الحدود الروسية..
- بناء علاقات شراكة مع كل من الصين والهند..
- استثمار ميراث الاتحاد السوفيتى وما بناه فى مناطق مثل الشرق الأوسط وأمريكا اللاتينية..
- رفض بشدة المشروع الأمريكى لبناء قواعد صواريخ مضادة فى بولندا وتشيكيا..

بوتين يتحدى ويهدد

وفى الخطاب الذي ألقاه أمام مؤتمر ميونخ للأمن فى فبراير عام 2007 أعلن بوتين أن حرباً باردة جديدة لا يمكن استبعادها إذا ما استمرت الولايات المتحدة وحلفاؤها فى الناتو فى التدخل فى الشئون الداخلية لروسيا.. واتخاذ قرارات رئيسية تتعلق بالأمن الدولى بدون استشارة روسيا وقد انتقد الرئيس الروسى الولايات المتحدة لمحاولتها خلق عالم له رئيس واحد وسيادة واحدة لتدخلها فى سياسات روسيا الداخلية.. وإملاء التوجيهات عليها حول تطبيق الديمقراطية.. فى الوقت الذى تتصرف هى فيه بشكل غير ديمقراطى.. وجاء ذلك بسبب ما سبق وأشار إليه نائب الرئيس الأمريكى (ديك تشينى) في مايو من سنة 2006 إلى تراجع الديمقراطية فى روسيا أثناء زيارته إلى ليتوانيا ووقتها رد عليه بوتين بقوله:

«إن الولايات المتحدة مثل الرفيق الذئب يأكل ولا يسمع لأحد.. وليس لديه نية للاستماع إلى أحد كيف يختفى كل الكلام المبالغ فيه عن الدفاع عن حقوق الإنسان والديمقراطية حين يتعلق الأمر بالدفاع عن مصالحه الخاصة.. حينها يصبح كل شئ ممكنا.. ولا تعود هناك حدود».

ورجاله يهددون

وبعد أيام قليلة من الخطاب حذر جنرال روسى كبير حكومتى بولندا وجمهورية التشيك

الفصل الرابع

4



السياسة الخارجية الروسية
خلال حكم بوتين!!

طالب بوتين بإنشاء نظام عالمى ديمقراطى متعدد الأقطاب وبتقوية دور القانون الدولى.. منتقداً (الهيمنة الاحتكارية) الأمريكية على السياسة الدولية وميل الولايات المتحدة إلى الاستعمال المفرط للقوة العسكرية إزاء ذلك.. وأضاف أنه فى ظل تلك الظروف فإن أحداً لا يشعر بالأمن.. مما يغذى من سباق التسلح وقدم بوتين مبادرات لحظر نشر أسلحة الدمار الشامل فى الفضاء الخارجى.. وإنشاء مراكز دولية لتخصيب اليورانيوم..

❋❋❋

الأمريكان هم النازيون الجدد:

وبمناسبة الاحتفال بالانتصار السوفيتى فى ستالينجراد على النازية أشار بوتين إلى أن الأخطار التى شكلتها النازية لم تختف.. وإنما اتخذت أشكالاً جديدة فأفكار (الرايخ الثالث) التى تتسم باحتقار البشر.. والسعى للهيمنة على العالم مازالت قائمة.. مشيراً بذلك إلى اعتباره كون الخطر الأمريكى يعادل الخطر النازى

❋❋❋

لا للدرع الصاروخية:

عارض بوتين إنشاء الولايات المتحدة للدرع الصاروخية والمحطة الرادارية فى بولندا وجمهورية التشيك واعتبر أن الدرع والمحطة ليستا موجهتين ضد إيران.. وإنما ضد روسيا ذاتها..

❋❋❋

4
السياسة الخارجية الروسية
خلال حكم بوتين!!

من الواضح أن بوتين كرس جزءاً كبيراً من اهتمامه لتحقيق عودة روسيا إلى مصاف القوى الكبرى.. ولصياغة اتجاه السياسة الخارجية الروسية عبر اندماجه الواضح بشكل كبير فى العديد من نشاطات السياسة الخارجية مثل:

- مجموعة الثمانى..
- منتدى آسيا باسيفيك للتعاون الاقتصادى..
- رابطة الأمم لجنوب شرق آسيا..
- مؤتمرات القمة الروسية مع الاتحاد الأوروبى..
- الموائد المستديرة مع المحررين الداخليين والخارجيين والأكاديميين..

والعديد من الخطب مكرسة للشئون الخارجية كل هذا لا يترك مجالاً للشك بأنه يصنع سياسة خارجية جديدة لروسيا..

سياسة التحدي

ونعود لأهم مميزات غترة حكم بوتين لروسيا عالمياً لنرصد أن أهم سماتها هو كل هذا التحدي كان لابد أن تنشغل أمريكا ومن وراءها الغرب والعالم أجمع بكل أجهزته المخابراتية.. والدبلوماسية.. ومراكزه البحثية بأمر روسيا تحت حكم بوتين في محاولة لفهم

خلفاء لألمانيا النازية.. واتهم الولايات المتحدة بتهديد روسيا وبقية العالم بنفس الدرجة التى كان يهددهم بها الرايخ الثالث وبنفس الادعاءات بالتفرد العالمى والإملاء.

روسيا مع الغرب أم ضده؟

وتتساءل الدراسة بعد هذا الاستعراض لمظاهر التوتر فى العلاقات الروسية ـ الأمريكية ـ الأوروبية عن مستقبل هذه العلاقات.. وتجيب بما يلي:

- من غير الواضح لدارسى السياسة الخارجية الروسية وصُناع السياسة فى العواصم الغربية ما الذى يحرك السياسة الخارجية الروسية..
- هل روسيا فى توازن مع الغرب أو أنها ضده؟
- ما الذى يحاول الكرملين تحقيقه فى أوروبا وفى آسيا.. وتجاه الولايات المتحدة.. وتجاه جيرانها المباشرين؟
- هل ستتغير سياسة روسيا الخارجية بعد أن ترك بوتين منصبه.

***

توجهات السياسة الخارجية لروسيا قبل وبعد بوتين

من قديم كان الشعار الرسمى لروسيا القيصرية يمثله نسراً ذا رأسين.. واحد ينظر فى اتجاه الشرق (آسيا» والآخر فى اتجاه الغرب «أوروبا».



الدوافع التي تحرك سياسته الخارجية لتقييم ما إذا كانت روسيا ستستمر على نفس النهج بعد أن ترك بوتين منصب الرئاسة لخلفه (ديمترى ميدفيدف) أم لا وقد كان من بين من اهتم بذلك معهد الدراسات الاستراتيجية (IISS) البريطانى[1] والذي أصدر دراسة خاصة بعنوان (السياسة الخارجية الروسية بعد بوتين) ولا بد أن نتوقف عند بعض ما أوردته تلك الدراسة لأهميتها القصوى..

تقول الدراسة أن بزوغ روسيا كلاعب استراتيجى دولي هو أمر واضح بشكل واسع.. وقد قوبل بالكبرياء والرضا داخل روسيا.. وفى أوروبا والولايات المتحدة بقدر لا يخفى من العصبية وعبر الحقبتين الماضيتين.. بل والقلق الشديد..

والتساؤل حول ما إذا كان الغرب وروسيا يتجهان إلى مربع الحرب الباردة من جديد أم لا..

أين الديمقراطية؟

كما تجددت المخاوف الأوروبية الدائمة حول تراجع روسيا عن الديمقراطية والتدخل فى الشئون الداخلية لمجموعة الدول السوفيتية السابقة..

لكن روسيا بوتين تنبهت وأرسلت تحذيرات شديدة اللهجة لأوروبا كانت تتمحور فيما يلي:

- مطالبة الدول الأوربية بعدم التعاون مع الولايات المتحدة بشأن نشر صواريخها فى شرق أوروبا..
- وقف اشتراك روسيا فى اتفاقية القوات التقليدية فى أوروبا..

وبوتين ما زال يهاجم

وفى الاحتفال بذكرى الانتصار السوفيتى فى الحرب العالمية الثانية.. استمر بوتين فى توجيه نقده اللاذع للغرب.. متهماً من كانت تصفهم أجهزة الدعاية السوفيتية بـ«الإمبرياليين» بأنهم

(1) وذلك فى دراسة خاصة قام بها المركز وأصدرها ضمن سلسلة إصداراته المعروفة بـ Adelphi Papers وتحت عنوان«Policy Beyond Putin ـ Russian Foreign»

البحر المتوسط فى فبراير سنة 1992.. وفى رصد الولايات المتحدة 400 مليون دولار لمساعدة روسيا وباقى دول الكومنولث على تدمير أو تخفيض ترسانتها النووية.. بناء على طلب روسيا هذا.. فى الوقت الذى لم تلتزم فيه الولايات المتحدة بالالتزامات ذاتها كذلك.. وافقت روسيا على فرض العقوبات على يوجوسلافيا.. والعراق.. وليبيا الأهم من ذلك أن روسيا اقترحت على الولايات المتحدة فى أبريل سنة 1993 المشاركة فى نظام الدفاع الصاروخى المسمى TRUST.. وهو المشروع الذى ينهض على فكرة إطلاق أشعة البلازمويد على المنطقة الفضائية المحيطة بالصواريخ المهاجمة.. بحيث يتم إخراجها عن مسارها وتدميرها فى الفضاء الخارجى قبل وصولها إلى أهدافها ومع نهاية سنة 1992..

المعارضة ترفض توجهات يلتسين الغربية

بدأت تظهر متغيرات جديدة حدت بروسيا إلى التفكير فى توجه جديد لسياستها الخارجية وطالبت قوى المعارضة التي تمثلت فى الحزب الشيوعى الروسى وباقي الأحزاب القومية الرئيس يلتسين بضرورة تغيير توجهه الأوروبى وطالبته بما يلي:

- ❏ تغيير سياسته الخارجية التي أضعفت مكانة روسيا..
- ❏ اتباع سياسة جديدة قوامها إعادة هيمنة روسيا على الدول التى استقلت عن الاتحاد السوفيتى وحماية الروس المقيمين فى تلك الدول..
- ❏ اتباع سياسة استقلالية عن الولايات المتحدة.. العدو الأول لروسيا
- ❏ اتباع سياسة متوازنة تأخذ فى اعتبارها مصالح روسيا فى (الشرق» (آسيا الوسطى.. والصين.. والشرق الأوسط»
- ❏ تقوية علاقات روسيا مع الدول التى استقلت عن الاتحاد السوفيتى(1)..

وبدأت روسيا تدرك أن هناك حدوداً لمدى رغبة الغرب فى إدماجها فى حضارته ومساعدتها للخروج من أزمتها مع بداية سنة 1993 خيث بدأ يتضح وهم الاعتماد على الغرب للخروج

(1) اصطلح على تسميتها فى الأدبيات الروسية.باسم: «الخارج القريب Abroad Near»

ومنذ انهيار الاتحاد السوفيتي سنة 1991عاد السؤال القديم حول هوية روسيا القومية والعرقية: هل هى دولة أوروبية أم دولة آسيو ية؟ ليفرض نفسه الجدل التاريخى..

وبين التبعية القارية جغرافياً للاثنين تأرجحت السياسة الخارجية لروسيا فالتوجه الأول فى ظل وزير الخارجية آنذاك (كوزيريف) الذى سيطر على السياسة الخارجية الروسية منذ نهاية سنة 1991 وحتى نهاية سنة 1995 انطلق من أهمية اندماج روسيا مع الحضارة الغربية.. وبالتحديد مع التكتل المتمثل فى مجموعة دول حلف الأطلنطى.. باعتبار أن هذا الاندماج هو وحده الطريق لتمكين روسيا من النهوض اقتصادياً.. كما يرى أنصار هذا التوجه.. يجب أن تنطلق بأسرع قوة فى طريق (الاندماج غير المشروط» مع العالم الأوروبى لأنه وحده القادر على إخراج روسيا من محنتها.. كما أن مثل هذا الاندماج من شأنه إضعاف احتمالات عودة الشيوعية إلى روسيا من ناحية ثانية.. انطلق هذا التوجه من مقولة الاعتراف بأن روسيا قد أصبحت قوة دولية «عادية» أى أنها إحدى القوى الكبرى فى النظام العالمى.. وليست أحد ركنى هذا النظام ويتطلب ذلك تخلى روسيا عن تطلعات العظمة والهيمنة.. وأن تتبع سياسة تتفق مع هذا الواقع الجديد من ناحية ثالثة.. أكد أنصار هذا التوجه أهمية عدم لجوء روسيا إلى استعمال القوة أو التهديد باستعمال القوة فى العلاقات الدولية.. حتى ولو كان الأمر متعلقاً بحماية الأقليات الروسية فى الدول الجديدة التى انفصلت عن الاتحاد السوفيتى..أكد أنصار التوجه الأوروبى أن سياسة روسيا الخارجية ينبغى أن تكون سياسة مصلحية.. أى (غير أيديولوجية» لأن روسيا لم يعد لها أعداء فى النظام العالمى ولا أيديولوجية مسيطرة على نظامها السياسى.

فى إطار هذا التوجه.. الذى قاده يلتسين ووزير خارجيته كوزيريف. قبل بوتين. ركزت روسيا على الاتجاه غرباً.. واتباع سياسة الحد الأدنى من التفاعل مع باقى دول كومنولث الدول المستقلة إلا بما يحفظ مصالح روسيا الحيوية كذلك..

سيطر هذا التوجه على سياسة روسيا الخارجية بعد ديسمبر سنة 1991 وتطبيقاً له.. سعت روسيا إلى طمأنة الغرب من ناحية نواياها من خلال سياسة تقديم التنازلات المنفردة.. والتعاون العسكرى وقد تمثل ذلك فى المناورات المشتركة للأسطوليين الأمريكى والروسى فى

وخلال مرحلة ولاية بوتين تغير الوضع كثيراً عما أشرنا إليه.. ويمكن إبراز أهم ملامح هذا التغير فى السياسة الروسية الخارجية فيما يلى:

- العمل على بناء القوة الذاتية الروسية بشكل مستقل عن النماذج الغربية الجاهزة.. وقد عبر بوتين عن ذلك فى خطابه أمام البرلمان الروسى فى مايو سنة 2005 بقوله إن روسيا دولة تصون قيمها الخاصة وتحميها.. وتلتزم بميراثها وطريقها الخاص للديمقراطية وأننا لن يتحدد وضعنا فى العالم الحديث إلا بمقدار نجاحنا وقوتنا.. كما أن روسيا لن تتسامح مع أى محاولة لتغيير الحكم بالصورة التى حدثت فى جمهوريات سوفيتية أخرى مثل «جورجيا وأوكرانيا»

- وفى خطاب آخر له فى 26 يوليو سنة 2007.. أكد بوتين أن مهمة روسيا هى أن تتصدر ترتيب دول العالم فى مجال التكنولوجيا المعلوماتية بحلول سنة 2015 وفى هذا الإطار.. بدأت روسيا فى تحجيم نفوذ المافيا الرأسمالية الروسية الجديدة.. وتمثل ذلك فى محاكمة المليونير (خوردوكوفسكى[1])..

❋❋❋

(1) سنتحدث عنه وعن قصته لاحقاً بالتفصيل..

من الأزمة.. كذلك ظهرت متغيرات جديدة فى آسيا الوسطى دعت روسيا إلى إعادة التفكير فى توجه سياستها الخارجية.. وهى:

- ◻ اندلاع التنافس التركى ـ الإيرانى على آسيا الوسطى.. مما هدد المصالح الروسية فى تلك المنطقة.
- ◻ تدفق الروس من دول ـ الخارج القريب ـ وقد وصل هذا التدفق من كازاخستان وحدها سنة 1993 إلى نحو 200 ألف روسى.. مما هدد الاقتصاد الروسى.. إذ إنه لم يكن قادراً على استيعاب تلك الأعداد.
- ◻ تصاعد التيارات الأصولية فى آسيا الوسطى واستعمال تلك التيارات للعنف.. مما هدد بالتأثير على الأمن القومى الروسى ووحدة الأراضى الروسية.
- ◻ بدأت دول آسيا الوسطى ذاتها تطالب روسيا بأن تلعب دور ضامن الأمن فى تلك الدول.. نظراً لعدم قدرتها على القيام بتلك الوظيفة.

روسيا لا توضع فى غرفة الانتظار

هكذا.. بدأ يلتسين فى تغيير توجه السياسة الخارجية الروسية اعتبارا من سنة 1994.. وبدأت تبلور ملامح توجه جديد يعتمد أساساً على كون روسيا هى دولة (أوروبية ـ آسيوية» وبالتالى.. فإن عليها أن توجه سياستها الخارجية نحو العالمين معاً.. ففى العالم الأوراسى.. تقع روسيا.. وتكمن مصالحها.. كما أنه من هذا العالم تنبع مصادر التهديد الأساسية للأمن القومى الروسى من ناحية أخرى.. كما أن الغرب لن يقيل روسيا من عثراتها.. لأنه حريص على الإبقاء عليها كدولة ضعيفة لأطول فترة ممكنة والدليل على ذلك أن الغرب لم يقبل إدماج روسيا فى مؤسساته.. وحرص على إهانة روسيا دولياً بإظهارها فى موقف الدولة التابعة والواقع أن هذا الشعور بالمهانة قد عبر عنه يلتسين ذاته حين قال مخاطباً الغرب.. (إن روسيا لا توضع فى غرفة الانتظار»..

وأخيرا.. فإن روسيا ينبغى أن تعمل على التكامل مع دول (الخارج القريب» والدول المجاورة.. مثل إيران وتركيا والصين والهند.. واليابان.

الفصل الخامس

5



بوتين..
وألمانيا.. ومجموعة العشرين!!

5
بوتين..
وألمانيا.. ومجموعة العشرين[1]!!

من بين أهم ملامح سياسات بوتين الخارجية تبرز علاقته بكلٍ من فرنسا.. وألمانيا.. وبريطانيا.. الأولى والثالثة دارت بشكل غير بعيد عن علاقته بأمريكا.. والثانية كانت أكثر وداً.. وما بين هذا وذاك دارت علاقته بباقي مجموعة دول العشرين..

مع ألمانيا

سُئِلَ بوتين ذات مرة عن الفتور المفاجئ في علاقة ألمانيا ببلاده بسبب الأزمة الأوكرانية.. فردَ قائلاً إنه لم يلاحظ شيئاً كهذا وقال للصحفي الي سأله هذا السؤال:

«تعرفون.. نحن نقود أمورنا الخاصة حسب مصالحنا لا حسب مشاعرنا وتعاطفنا ونفورنا».

كان سبب سؤال الصحفي يرجع لما قبلها بعدة أيام فقط عندما صرح مصدر في الحكومة الألمانية صرح بأن بلاده تأسف لعدم تحقق أي تقدم في الملف الأوكراني.. ووضح في تصريحه

(1) مجموعة 20 أو مجموعة العشرين هو منتدى تأسس سنة 1999 بسبب أزمات التسعينات الاقتصادية.. ويمثل هذا المنتدى ثلثلي التجارة في العالم كما يمثل أيضا أكثر من 90 بالمئة من الناتج العالمي الخام.. وتهدف المجموعة إلى تعزيز تضافر الدولي.. وترسيخ مبدأ الحوار الموسع بمراعاة زيادة الثقل الاقتصادي الذي أصبحت بعض الدول تتمتع به.. كما تمثل الدول أعضاء مجموعة العشرين 20 ثلثي التجارة وعدد السكان في العالم.. كانت اجتماعات الدول في البداية قاصرة فقط على وزراء المالية.. إلا أنه في يوم 15 نوفمبر 2008 ولأول مرة في تاريخها.. اجتمع رؤساء الدول والحكومات.

وبريطانيا تهدد

في خطاب له أثناء انعقاد نفس الاجتماع كان أمام البرلمان الأسترالي في كانبيرا.. حذر رئيس الوزراء البريطاني (ديفيد كاميرون) من أن روسيا قد تواجه عقوبات جديدة إن لم تعمل على إيجاد حل للنزاع في أوكرانيا.. واعتبر تحركات موسكو في هذا الشأن «غير مقبولة» ويمكن أن تخضعها لعقوبات دولية إذا لم تعمل على تسوية النزاع فهي - أي - روسيا تتصرف كدولة كبرى تعتدي على دول أصغر في أوروبا».

وخلال كلمته استخدم كاميرون عبارات شديدة اللهجة للغاية ضد بوتين..

والبرازيل تزايد

وانتهز نظيره الأسترالي توني أبوت الموقف ليزايد على كاميرون ويؤكد دعم بلاده لكل كلمةٍ قالها.. كما أدان تزايد النشاطات العسكرية الروسية.. مشيراً بخصوصية أكبر إلى ظهور عدة سفن تابعة للبحرية الروسية شمال السواحل الأسترالية في نفس التوقيت الذي كان يتحدث فيه.. وقال:

«الأمر يتعلق بما هو أكثر من العدوان على أوكرانيا.. وتكثيف تحليق الطائرات الحربية الروسية في المجال الجوي الياباني أو الدول الأوروبية.. أو القوة البحرية الموجودة الآن في جنوب المحيط الهادي.. تبدو روسيا واثقة من نفسها اليوم أكثر من أي وقت مضى.. إن روسيا يمكنها أن تكون أكثر جاذبية إذا تطلعت إلى أن تكون قوة عظمى من أجل السلام والازدهار بدلاً من أن تعيد الأمجاد الضائعة لعهد القياصرة أو الاتحاد السوفيتي».

❋❋❋

عندما تحدث الرئيسان البريطاني والبرازيلي بتصريحاتهما السابقة لم يكن بوتين قد وصل بعد إلى بريزبن بالبرازيل.. وعندما وصل فتح النار على الجميع.

❋❋❋

أن هذه الرسالة ستقوم (ميركيل) بإبلاغها للرئيس الروسي بوتين خلال محادثاتهما الثنائية بعد انعقاد مؤتمر دول العشرين في بريزبن الأسترالية الذي كان مزمع عقده بعدها بأيان قليلة فقط..

كما أشارت المصادر الألمانية أن اللقاء بين بوتين وميركل سيتناول الأزمة الأوكرانية والمسائل المتعلقة بتنفيذ اتفاقيات مينسك حول وقف إطلاق النار في جنوب شرقي أوكرانيا.. إلى جانب العقوبات المفروضة ضد روسيا.

وفرنسا

وعلى هامش نفس دورة الاجتماع أعلن كلٌ من الإليزيه الكرملين أن الرئيسين الروسي بوتين والفرنسي (فرنسوا هولاند) سيلتقيان في جلسة مباحثات ثنائية.. لبحث نفس القضايا..

وروسيا تهدد فرنسا

في نفس الوقت وكنوعٍ من رد الهجوم بهجوم مماثل صرح مصدر روسي رفيع المستوى أنه بلاده تمهل فرنسا أسبوعين فقط يبدءان من لحظة هذا الإعلان لتسليمها روسيا أول سفينة «ميسترال[1]» وإلا فستواجه طلبات تعويض جدية.. فنحن نستعد لمختلف الاحتمالات. سننتظر حتى نهاية المهلة بعدها سنقدم مطالباتنا الجدية».

وتم اللقاءان

ولم تفلح ألمانيا.. ولا فرنسا في إبعاد بوتين عما كان قد عقد العزم عليه من التدخل العسكري في أوكرانيا بالشكل الذي سنتحدث عنه في حينه.. وعندما التقى بوتين بنظيريه الفرنسي والألماني كانت الأزمة الأوكرانية حاضرة بقوة.. أما عندما التقى بالفرنسي كانت قضية «ميسترال» هي أهم ما تحدث عنه الرئيس الروسي..

(1) هي حاملة مروحيات صنعتها فرنسا من أجل روسيا وتباطأت متعمدة في تسليمها للحكومة الروسية مما خلق مشكلة كبيرة بين الدولتين.

الفصل السادس

6



بوتين..

ومشكلة أوكرانيا!!

بوتين.. ومجموعة العشرين

عارض بوتين بشدة سياسة ما عُرِفَ بـ «تشكيل تكتلات جديدة داخل مجموعة العشرين» كان المقصود منها هو اصطفاف الغربيين من دول المجموعة في مواجهة الدول الناشئة.

وفي أحد تصريحاته الصحفية قال بوتين بالنص[1]:

«يبدو لي أنه أمر سيئ فعلاً إذا بدأنا إنشاء تكتلات جديدة. الأمر ليس فعال إطلاقاً.. بل ومُضر بالاقتصاد العالمي.. كما أن فرض دول عدة في مجموعة العشرين عقوبات باسم المجموعة على روسيا يخالف بالتأكيد مبادئ نشاط المجموعة ومبادئ عملها ويخالف القانون الدولي.. كما أن أي عقوبات يجب أن تفرض عن طريق الأمم المتحدة».

كان بوتين ساعتها يخاف لاشك من عدم وجود توازن للقوى داخل المجموعة.. خاصةً مع وجود انقسامات فعلية قد تؤدي لحدوث مواجهة بين الدول الأعضاء في مجموعة الـ8 التي تضم البلدان الأكثر تطوراً.. ومجموعة «بريكس[2]» التي تضم البرازيل والصين وروسيا والهند وجنوب أفريقيا..

❋❋❋

(1) في مقابلة مع وكالة الأنباء الروسية «تاس»

(2) بريكس هو مختصر للحروف الأولى باللغة اللاتينية BRICS المكونة لأسماء الدول صاحبة أسرع نمو اقتصادي في العالم وهي: البرازيل.. روسيا.. الهند.. الصين.. جنوب أفريقيا) وعُقِدَت أول قمة لها بروسيا في يونيو 2009 حيث تضمنت الإعلان عن تأسيس نظام عالمي ثنائي القطبية.. انضمت دولة جنوب أفريقيا إلى المجموعة عام 2010, فأصبحت تسمى بريكس بدلا من بريك سابقاً.

6

بوتين..

ومشكلة أوكرانيا!!

منذ انهيار الاتحاد السوفياتي وروسيا فوق صفيح ساخن.. تتأرجح داخلياً وخارجياً تبحث عن الاستقرار داهلياً.. ودورها الغائب على خريطة القوى القطبية في عالم هيمنة القطب الواحد.. أمريكا..

وفجأة فرضت أوكرانيا واستغاثاتها من أطماع روسيا فيها نفسها على الجميع.. وتسارع ريتم المباحثات داخل الاتحاد الاوروبي وبين جنرالات حلف الأطلسي عن كيفية حل تلك الأزمة الخطيرة.

إنها أزمة كبرى وحقيقية.

وبالفعل هي كذلك.. بل أكبر من ذلك.. حدودياً.. وعِرقياً.. واقتصادياً.. وفجأة تغيرت لغة التواصل.. باراك أوباما أخذ يحذر بوتين من «الثمن» الذي ستدفعه بلاده جراء انتهاكها سيادة أوكرانيا وتهديد وحدتها او استقرارها..

قمة الثماني لوحت بفرض المقاطعة على روسيا وإبعادها عن المجموعة إن لم تتباعد عن أوكرانيا..

الأمين العام لحلف الأطلسي صَرَحَ بأن تحركات روسيا في أوكرانيا «تهدد السلم والأمن في أوروبا».

واتفق الجميع على ضرورة إبعاد روسيا وعزلها اقتصادياً في حال مضت فيما هددت به من التدخل العسكري في أوكرانيا..

بعد هذا التمهيد لطبيعة المشكلة بين روسيا وأوكرانيا ونظرة الدول والمجتمع الدولي لها ولمدى ما تتضمنه من مخاطر لابد أن نتوقف قليلاً قبل أن تأخذنا تفاصيل القضية وردود أفعاله.. وكيف تعامل معها بوتين.. لنتعرف عن قرب على أوكرانيا كدولة.. وشعب..

أوكرانيا

هي ثاني أكبر دول أوروبا الشرقية[1] عاصمتها هي مدينة كييف وهي في نفس الوقت أكبر مدنها.. ومنذ القرن التاسع أصبحت أوكرانيا مركزاً لـ(السُلاف الشرقيين[2]).. لكنها تفككت في القرن الثاني عشر بعد حرب الشمال العظمى.. وتم تقسيم أوكرانيا بين عدد من القوى الإقليمية.. وبحلول القرن التاسع عشر خضع الجزء الأكبر من أوكرانيا للامبراطورية الروسية.. بينما ما تبقى منها آنذاك كان تحت السيطرة النمساوية الهنجارية.

بعد فترة من الفوضى والحروب المتواصلة وعِدة محاولات للاستقلال ما بين عامي 1917 عام تفجر الثورة البلشفية في روسيا وعام 1921 عقب الحرب العالمية الأولى والحرب الأهلية الروسية مباشرةً.. وتحديداً في الثلاثين من ديسمبر سنة 1922 ظهرت أوكرانيا كدولة وكأحد مؤسسي الاتحاد السوفياتي.. وبعد الحرب العالمية الثانية وتحديداً عام 1945 أصبحت جمهورية أوكرانيا الاشتراكية السوفياتية من الأعضاء المشاركين في تأسيس الأمم المتحدة.. وفي عام 1954 تم توسيع جمهورية أوكرانيا السوفيتية الاشتراكية غرباً.. وجنوباً عبر تهجير شبه جزيرة القرم..

حصلت أوكرانيا على الاستقلال مرة أخرى بعد تفكك الاتحاد السوفياتي في عام 1991

(1) أغلب شعوب العالم باستثناء الدول العربية تنطقها وتلفظ غالبا (أكرانيا).. وهي الأكبر من حيث المساحة وتعداد السكان بها.. وحدودها الجغرافية هي كالتالي: الاتحاد الروسي من الشرق.. بيلاروسيا من الشمال.. بولندا وسلوفاكيا والمجر من الغرب.. رومانيا ومولدوفا إلى الجنوب الغربي.. والبحر الأسود وبحر آزوف إلى الجنوب

(2) السُلاف والشعوب السلافية هي الشعوب التي يتحدث أهلها اللغات السلافية الشرقية.. في الأساس نزح السُلاف في القرون الوسطى من روسيا.. وأسسوا ما عُرِفَ بـ(روسيا الكييفيّة) وبحلول القرن السابع عشر تطورت هذه الكتلة البشرية وانقسمت إلى ما يُعرفَ بالشعوب الروسية والأوكرانية.. والبيلاروسية... وتاريخهم قبل عام 859 م غير معروف تقريباً..

شر الأمور ما يضحك

ومن الغريب أنه بالرغم من كل ذلك التحامل من جانب أوباما على الرئيس الروسي إلا أنه نفسه فيما لم ينكر أن لروسيا مصالح في أوكرانيا

بوتين وكيف نظر لأزمة أوكرانيا

من الزاوية القومية والوطنية وحتى على المستوى الشخصي لم يستسغ بوتين يوماً استقلال الدول التي فرت من سجن التوحد الفيدرالي مع روسيا.. خاصةً أوكرانيا.. فمارس ضدها سياسة التطويع.. كانت أوراق اللعبة لديه كثيرة.. ومتعددة وهناك الأسطول الروسي المرابط في موانئ أوكرانيا على شواطئ البحر الأسود.. وفي النهاية أقنع بوتين نفسه بكون أوكرانيا مجرد قشرة جغرافية حدودية.. وفي النهاية لابد أن تزول لينصهر الجزء في الكل..

أما أمام العالم فقد نطق لسان الحكومة الروسية متشدقاً بالآتي:

- حماية الأقليات الروسية في مدن أوكرانيا.
- عدم سيطرة الميلشيات المتمردة في أوكرانيا على مصادر النفط والغاز والثروة الطبيعية التي تمتلكها أوكرانيا بتميز..
- الحديث عن التأمين الحدودي..

وأشياء أخرى كثيرة ومتعددة مما لن يعجز الثعلب الروسي عن إخراجه من جعبة أحاييله.

وشبه جزيرة القرم

وفي المقابل لم يتنبه المتمردون في شوارع كييف إلى خطورة وضع شبه جزيرة القرم.. فغالبية سكانها من الروس ويشعرون بأنهم أقرب إلى موسكو منهم إلى كييف.. ودائماً كان تاريخ شبه جزيرة القرم هو مؤشر الميزان الذي يشير إلى انتشار روسيا أو انحسار دورها.

❋❋❋

مناصب متميزة في مشهد القيادة السوفيتية وكان أشهرهم هو (ليونيد بريجنيف[1]) الرئيس السوفيتي الشهير.. لكن بقي حلم الاستقلال يراود الشعب الأوكراني..

استقلال أوكرانيا

وفي السادس عشر من يوليو 1990 اعتمد البرلمان الجديد إعلان سيادة دولة أوكرانيا.. أسس الإعلان مبدأ تقرير المصير للأمة الأوكرانية.. والديمقراطية والاستقلال السياسي والاقتصادي.. وأولوية القانون الأوكراني على القانون السوفياتي على الأراضي الأوكرانية.. وقبلها بشهر واحد اعتُمِدَ إعلان مماثل يمهد الطريق لهذا الإعلان من قِبل البرلمان في روسيا الشيوعية..

ومنذ هذه الفترة بدأت مواجهات بين المركزيين السوفييت.. والسلطات الجمهورية الجديدة.. وفي 24أغسطس 1991 حاول فصيل من المحافظين بين القادة الشيوعيين في الاتحاد السوفياتي الانقلاب لإزالة ميخائيل جورباتشوف.. واستعادة سلطة الحزب الشيوعي..و بعد المحاولة الفاشلة اعتمد البرلمان الأوكراني قانون الاستقلال والذي أعلن فيه البرلمان أوكرانيا دولة ديمقراطية مستقلة.

و في عام 1996 تم استحداث عملة جديدة لأوكرانيا..

وفي نفس العام أيضاً وخلال حكم الرئيس الثاني (ليونيد كوتشما) اعتُمِدَ دستورٌ جديد لأوكرانيا.. ونص هذا الدستور إلى اعتماد نظام نصف رئاسي خاص تُحكم من خلاله جمهورية أوكرانيا.. وأنشأ نظاماً سياسياً مستقراً.

ومنذ عام 2000.. بدأت البلاد تعيش فترة نمو اقتصادي حقيقي مطرد..

الثورة البرتقالية

وفي عام 2004.. أعلن (فيكتور يانكوفيتش[2]) رئيس الوزراء الأوكراني آنذاك فائزاً في

(1) الذي صعد للسلطة على حساب خروتشوف الزعيم السوفياتي الأشهر.. وتولى برجينيف حكم الاتحاد السوفيتي خلال الفترة ما بين عامي (1964: 1982)

(2) فيكتور فيدورفيتش يانوكوفيتش من مواليد التاسع من شهر يوليو سنة 1950 .. وهو الزعيم الحالي لحزب=

وبدأت هذه الفترة بالانتقال إلى اقتصاد السوق الحرة.. بعد فترة ركود اقتصادي استمرت لمدة ثماني سنوات.. لكن منذ ذلك الحين شهد الاقتصاد الأوكراني حالة انتعاش كُبرى..

وتتألف أوكرانيا من 24 ولاية.. وتتمتع اثنتان منها بمركز خاص: (كييف) و(سيفاستوبول).. الأولى هي العاصمة.. والثانية تضم أسطول البحر الأسود الروسي.. ومنذ انهيار الاتحاد السوفياتي تمتلك أوكرانيا - بعد روسيا بالطبع - ثاني أكبر جيش في أوروبا.

اللغة الروسية هب اللغة الأساسية هناك.. والدين السائد هو المسيحية الأرثوذكسية الشرقية..

ومع انهيار الإمبراطوريتين الروسية والنمساوية بعد الحرب العالمية الأولى والثورة الروسية عام 1917 برزت الحركة الوطنية الأوكرانية من أجل تقرير المصير.. وخلال الفترة بين عامي 1917 - 1920 برزت عدة دويلات أوكرانية منفصلة لفترة وجيزة مثل:

(جمهورية أوكرانيا الشعبية.. الهتمانات.. الإدارة.. وجمهورية أوكرانيا السوفيتية الاشتراكية المناصرة للبلاشفة[1]).. وفي خضم الحرب الأهلية.. ظهرت حركة فوضوية تدعى الجيش الأسود بقيادة نيستور ماخنو في جنوب أوكرانيا أدت لظهور جمهوريات أخرى..

لكن مع هزيمة أوكرانيا الغربية في الحرب البولندية الأوكرانية.. وما تلاها من فشل الهجوم البولندي التالي الذي صده البلاشفة.. ووفقاً لاتفاقية السلام التي تم توقيعها لاحقاً في ريجا وتم إبرامها بين السوفييت وبولندا أُدمِجَت أوكرانيا الغربية رسمياً في بولندا مقابل اعتراف الأخيرة بجمهورية أوكرانيا الاشتراكية السوفياتية في مارس 1919 ومن ثم أصبحت تلك الدولة لاحقاً عضواً مؤسساً لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية أو الاتحاد السوفيتي في ديسمبر 1922.

وعلى مدار كل هذا التاريخ توالت على الشعب الأوكراني مختلف المِحن.. والمجاعات.. والتردي الاقتصادب والحروب الداخلية والخارجية.. وبرز من بين صفوف الشعب الأوكراني أدباء.. وفنانين.. ورياضيين متميزين عالمياً.. بل وسياسياً أيضاً برز العديد منهم ليحتلوا

(1) الأخيرة عُرِفَت أيضاً باسم (أوكرانيا السوفيتية»

وفي 15 ديسمبر.. علق الاتحاد الأوروبي العمل المتعلق باتفاقية التجارة مع أوكرانيا.. وعلل مفوض شؤون توسيع الاتحاد هذا الإجراء بعدم استجابة الطرف الأوكراني لشروط الاتحاد التي تخص مباحثات اتفاق التجارة.

اقترح الرئيس الأوكراني عقد طاولة مستديرة تضم قادة البلاد السياسيين والدينيين لحل الأزمة.. ورفضت رئيسة الوزراء السابقة (يوليا تيموشينكو[1]) هذا الاقتراح.. فتم فرض عقوبات اقتصادية من (المجتمع الديمقراطي العالمي» على أوكرانيا ومنع سفر القيادات الحالية.

يانوكوفيتش يذهب إلى بوتين

وفي السابع عشر من ديسمبر 2010 توجه الرئيس فيكتور يانوكوفيتش إلى روسيا.. وبعد مباحثات ثنائية بينه وبين الرئيس الروسي فلاديمير بوتين أعلن الأخير أن بلاده قررت استثمار 15 مليار دولاراً في السندات الحكومية الأوكرانية وأنها ستخفض سعر الغاز المورد إلى أوكرانيا بمقدار الثلث.. وقال بوتن وهو يعلن قراراته: (نقول دائمًا أنهم شعب شقيق وبلد شقيق.. لذلك علينا التحرك لدعم أهلنا من الشعب الأوكراني الذي يواجه وضعًا صعبًا».

روسيا تتدخل عسكرياً في أوكرانيا

وإزاء عدم استقرار الأوضاع الأمنية والسياسية في أوكرانيا قررت روسيا ضرورة التدخل العسكري هناك للحفاظ على أرواح رعاياها وتأمين حدودها المشتركة..

أزمة القرم 2014

الانفصال.. والانضمام:

في أعقاب انهيار حكومة يانوكوفيتش وما نتج عنه من ثورة 2014 الأوكرانية في فبراير من العام بدأت أزمة الانفصال في شبه جزيرة القرم الأوكرانية.. وبدأت ملامح رد الفعل الروسي

(1) سُجِنَت فيما بعد بسبب تهم فساد مختلفة.

الانتخابات الرئاسية.. والتي كانت مزورة بدرجة كبيرة ووفقاً لما أقرته محكمة أوكرانيا العُليا.. وتسببت النتائج في موجة عارمة من الغضب الشعبي العام دعما لمرشح المعارضة آنذاك (فيكتور يوشتشينكو).. الذي تسبب طعنه في نتائج الانتخابات إلى صدور حكم المحكمة العُليا.. وأدى ذلك إلى ما يُعرف بالثورة البرتقالية السلمية.. والتي وصلت بكل من (فيكتور يوشتشينكو) و(يوليا تيموشينكو) إلى السلطة.. في حين دفعت فيكتور يانوكوفيتش إلى المعارضة.. لكن عاد يانوكوفيتش إلى منصب في السلطة في عام 2006 عندما أصبح رئيساً للوزراء في تحالف الوحدة الوطنية.. حتى أجريت انتخابات مبكرة عام 2007 أعادت تيموشينكو رئيساً للوزراء مرة أخرى.. ثم انتخب يانوكوفيتش رئيساً عام 2010.

الغاز أول المشاكل المشتركة مع روسيا

أوقف النزاع مع روسيا بشأن سعر الغاز الطبيعي لفترة وجيزة جميع إمدادات الغاز إلى أوكرانيا مرتين خلال عهد بوتين.. الأولى كانت عام 2006 والثانية عام 2009 مما أدى إلى نقص في الغاز في عدة بلدان أوروبية أخرى.

بداية أزمة القرم وتدخل روسيا

قدم الرئيس الأوكراني شروطًا لانضمام بلاده إلى اتفاقية الشراكة مع الاتحاد الأوروبي.. كانت الشروط هي استئناف تعاون أوكرانيا مع البنك الدولي وإعادة الاتحاد الأوروبي النظر في القيود المفروضة على بعض قطاعات الاقتصاد الأوكراني وإزالة التناقضات التي تعوق تعاون أوكرانيا التجاري مع دول الاتحاد الجمركي (روسيا وكازاخستان وبلاروسيا» تحدث رئيس الوزراء أيضًا عن حاجة البلاد إلى 20 مليار دولاراً من المساعدات الأوروبية لتوقيع اتفاقية الشراكة.

=الأقاليم ذي النفوذ والمعارض.. حصل يانكوفيتش على العدد الأكبر من الأصوات في الجولة الأولى من انتخابات الرئاسة الأوكرانية.. 2010.. وواجه يوليا تيموشينكو في الجولة الثانية من الانتخابات وتفوق عليها.. كان حاكماً لمقاطعة (أوبلاست) دونتسك من 1997 إلى 2002 شغل منصب رئيس وزراء أوكرانيا مرتين.. الأولى من 12 نوفمبر 2002 إلى 31 ديسمبر 2004 واالثانية من 4 أغسطس 2006 إلى 18 ديسمبر 2007 واجه مظاهرات حاشدة طالبت بعزله نفذتها المعارضة بعد تعليق حكومته توقيع اتفاقية للتجارة الحرة والشراكة مع الاتحاد الأوروبي..

الجمهورية وجمهورية لوجانسك الشعبية.. وسيطرتهم على جزء كبير من المنطقة.. ساعتها تعهد بوروشنكو بالعمل على مواصلة العمليات العسكرية من جانب القوات الحكومية الأوكرانية لإنهاء ذلك التمرد..

وأشار بوروشنكو في تصريحاته بالتشابه المطلق ـ من وجهة نظر بلاده ـ بين المتمردين المسلحين الموالين لروسيا.. وما يفعله القراصنة الصومال من إرهاب وخطف وقتل.. وابتزتز...

وفي نفس الوقت سعى أيضاً (!!) للتفاوض مع روسيا في وجود وسطاء دوليين..

وروسيا ترد:

ردت روسيا على الرئيس الأوكراني بالقول أنها لا تحتاج إلى وسيط في علاقاتها الثنائية مع أوكرانيا.. كما وعدت بوروشنكو بالعمل على متابعة عودة شبه جزيرة القرم الأوكرانية لسيادة الرئيس المنتخب.

خلاصة مواجهة بوتين وروسيا لأوكرانيا:

لاشك أن الرئيس الروسي بوتين قد واجه راهن بالمخاطر عندما قرر التدخل في الشأن الأوكراني.. رغم أن الاعتقاد الذي كان سائداً قبلها وعبر العديد من تصريحاته هو شخصياً وتصريحات مسئولين روس رفيعي الشأن أن روسيا لا يمكن أن تتدخل عسكرياً في أوكرانيا..

المعلن وقتها كان يتفق مع قناعة دولية تجزم بأن الرئيس الروسي الذي حكم بلاده لمدة أربعة عشر عاماً متتالية لا يمكن أن يتخذ قراراً مثل هذا ويغامر بمستقبله السياسي بسهولة.. خاصةً أن تحقيق الانتصار الكامل في هذا الصراع غير ممكن..

وهناك أربع أسباب أساسية تمنع بوتين أو على الأقل تجعله يفكر جيداً قبل الإقدام على هذه الخطوة (المغامرة) هي كالتالي:

- قرار التدخل في أوكرانيا سوف يكون واحداً من القرارات الأقل شعبية في تاريخ بوتين السياسي.. حيث إن الكرملين نشر استطلاعاً للرأي مؤخراً يُظهر أن 73 % من الروس يرفضون الانزلاق نحو أوكرانيا.

تحمل علامات التدخل العسكري المسلح ثانيةً بدافع دعم الشرعية وإقرار السلام والقانون والنظام والاستقرار والدفاع عن الشعب أوكرانيا.. وطلب بوتين ـ وحصل بالفعل ـ على إذن من البرلمان الروسي بإرسال قوات روسية إلى أوكرانيا للسيطرة على شبه جزيرة القرم.. كان بوتين لا شك يرغب في تأمين منفذ جيد لبلاده لها على شواطئ البحر الأسود في شبه جزيرة القرم.

يوم 6 مارس عام 2014.. صَوَتَ برلمان القرم على إجراء استفتاء لتحديد هل ما إذا كان أهل هذه المناطق يريدون الانضمام روسيا فيدرالياً.. أم لا.. وفي حالة الرفض يعود العمل بدستور القرم الموضوع عام 1992 والذي ينص على كون شبه جزيرة القرم جزءاً من أوكرانيا.

وجاءت النتيجة لصالح الانضمام إلى الاتحاد الروسي فيدرالياً.. وأُعلِنَ الاستقلال رسمياً باسم جمهورية القرم التي طلبت أن يتم قبولها بوصفها من بين الدول المكونة للاتحاد الروسي.

وفي 18 مارس 2014.. وقعت روسيا والقرم معاهدة انضمام جمهورية القرم وسيفاستوبول إلى الاتحاد الروسي.. على الرغم تصويت الجمعية العامة للأمم المتحدة لصالح بيان غير مُلزم يعارض ضم روسيا لشبه جزيرة القرم.

اندلاع الفوضى:

تزامناً مع كل ذلك بدأت الاضطرابات في المناطق الشرقية والجنوبية من أوكرانيا.. وفي العديد من المدن في دونيتسك ووجانسك والعديد من المناطق بواسطة ميلشيات مسلحة محلية.. وبدأت مباحثات دولية في جنيف بين الاتحاد الأوروبي وروسيا وأوكرانيا والولايات المتحدة الأمريكية بشأن تطور الموقف.. وأسفرت المباحثات عن بيان الدبلوماسية المشتركة يشير إلى أن ميثاق جنيف 2014 الذي طلب الطرفان الاحتكام إليه يؤكد أن جميع الميليشيات غير قانونية وعلى قادتها إلقاء السلاح وإخلاء المباني الحكومية المحتلة من جانبهم.. وكذلك البدء في إجراء حوار سياسي يمكن أن يؤدي إلى اتفاق يرضي جميع الأطراف..

وعندما فاز بوروشينكو في الانتخابات الرئاسية الأوكرانية في الخامس والعشرين من مايو 2014.. أعلن المتمردون الموالين لروسيا استقلال الجمهوريات الانفصالية دونيتسك الشعبية

جيشه إلى كييف.. ليكرر هناك ما سبق ومارسه من تأديب ضد جورجيا وتضمن الأمر وقتها تلاعباً معروفاً بالحدود والخرائط.

لكنه في المقابل يستطيع أن ينشب أظافره في جسد أوكرانيا عبر شبه جزيرة القرم..

ولا يستطيع أن يتراجع والقرم على أبواب قلعته الحدودية..

والغرب الذي لن يقف مكتوف الأيدي ماذا سيفعل مع قيصر روسيا الجديد الذي يحلم بإعادة عرش بلاده المفقود وقوته الدولية؟

وهل يملك الغرب ما يقلم به أظافر بوتين؟ أو على الأقل يرشوه به لينزع أظافره من كعكة القرم وأوكرانيا.. أم أن هناك بوادر حرب باردة جديدة تدق الأبواب..

***

- في حال التدخل العسكري من الممكن أن تعم البلاد حالة كبيرة من الفوضى.. وستحدث موجات كبيرة ومتتالية من الاحتجاجات ستجبر موسكو على الانسحاب في الحال.
- الخسائر الاقتصادية التي ستترتب على ذلك أكبر بكثير من قدرة حكومة بوتين على تحملها و إقناع الشعب الروسي بها.. وتزيد من رؤوس الأموال المهاجرة من روسيا للخارج.. وتضعف أسعار الأصول في روسيا.. وتؤدي إلى تباطؤ الاستثمارات.. ومن ثم تباطؤ النمو والنشاط الاقتصادي.. وستنهار العملة الروسية المحلية (الروبل» أمام الدولار الأميركي وتتهاوى إلى مستوى تاريخي متدني..
- من المؤكد أن حلفاء روسيا سيتخلون عنها لعدم وجود سبب منطقي يدفعهم ليكونوا طرفاً في الصراع الروسي الأوكراني.. وعلى سبيل المثال فإن بلداً مثل كازخستان الغنية بالنفط والتي تعتبر أهم حلفاء روسيا في المنطقة فاجأت العالم ببيان إدانة ضد روسيا في حال استمرار تدخلها في الشأن الأوكراني.. وقال وزير خارجية كازخستان أن بلاده كازاخستان تعبر عن قلقها العميق من التطورات في أوكرانيا.. وتدعو كل الأطراف إلى عدم استخدام القوة من أجل حل الموقف في البلاد.. ومن البديهي أيضاً يبدو أن أكثر ما يقلق جيران روسيا هو أنهم قد يصبحون فيما بعد أهدافاً في أي وقت لتدخل مماثل من قبل روسيا.. وهو ما سيدفعهم بالتأكيد للتخلي عن دعمها في أوكرانيا.
- أما العزلة الروسية والقطيعة المتوقعة مع دول الغرب فلا شك أنها ستمثل واحداً من أهم عوامل فشل بوتين في قاره بالتدخل العسكري في أوكرانيا.. ففي نهايات حكمه كان من المقرر أن يستضيف بوتين قادة دول مجموعة الثماني في مدينة (سوتشي» الروسية.. إلا أن كافة هذه الدول أعلنوا مقاطعة الاجتماعات التمهيدية لقمة الثماني المرتقبة في الصيف.. كما يتوقع أن يتطور الأمر ليصل إلى فرض عقوبات اقتصادية وتجارية يمكن أن تتسبب في أزمة كبيرة في روسيا.. وفي حال التدخل العسكري فسيمثل كل ذلك ضربةً قاسيةً وهو ما لا يتوقع أن يقبل به بوتين..

بوتين وحساباته:

بعد أن استعرضنا كافة جوانب المشكلة نقول أنه ليس من السهل على بوتين أن يرسل

الفصل السابع

7



بوتين..
وأزمة بلاده مع جورجيا!!

7

بوتين..
وأزمة بلاده مع جورجيا!!

> قبل أن نتحدث عن تفاصيل ما يُعرف تاريخياً حالياً باسم (حرب أوسيتيا الجنوبية) والتي بدأت رسمياً في الثامن من أغسطس سنة 2008 بهجوم عسكري من جورجيا على مقاطعتي جنوب أوسيتيا وأبخازيا.. وبعدها قامت القوات الروسية بهجوم مضاد سريع على جورجيا.

نتعرف في سطور قليلة عاى دولة جورجيا..

جورجيا

هي دولة ذات سيادة تقع في منطقة القوقاز من أوراسيا.. عند ملتقى أوروبا الشرقية مع غرب آسيا.. يحدها من الغرب البحر الأسود.. ومن الشمال روسيا.. وكلٌ تركيا وأرمينيا من الجنوب.. وأذربيجان من الشرق.. مساحتها تبلغ 69.700 كم2 ولا يتجاوز تعداد سكانها الخمسة ملايين نسمة..

وهي من أول الدول التي اعتنقت المسيحيةالقرن في الرابع الميلادي.. وبلغت جورجيا ذروة مجدها السياسي والاقتصادي خلال حكم الملك ديفيد والملكة تامار في القرن الحادي والثاني عشر..

وفي بداية القرن التاسع عشر.. أُلحِقَتْ جورجيا بالإمبراطورية الروسية.. وبعد فترة قصيرة من الاستقلال تلت الثورة البلشفية عام 1917.. فاجتاحت الجيوش البلشفية الروسية جورجيا عام 1921 وضمتها للاتحاد السوفييتي عام 1922.

□ جورجيا تعد نفسها في (حالة حرب) وتأمر بسحب جنودها البالغ عددهم 2000 جندي من العراق للانضمام إلى باقي قواتها.

□ هجوم قوات أبخازيا على ممرات كودوري الجزء الوحيد في المنطقة الانفصالية الجورجية الموالية لروسيا الخاضعة لسيطرة الجورجيين.

□ بوتين يبرر التدخل الروسي بأنه يناهض (السياسة الإجرامية) التي تنتهجها جورجيا.

□ جورجيا تطلب (مساعدة دولية عاجلة).

□الاتحاد الأوروبي يحذر روسيا مؤكداً أن استمرار العمليات العسكرية سيؤثر على علاقاتهما.

□ فرنسا تدعو لاجتماع وزراء خارجية الاتحاد الأوروبي الأربعاء وترسل وزير خارجيتها برنار كوشنير في مهمة وساطة للخروج من الأزمة.

□ دول البلطيق الثلاث.. ليتوانيا وأستونيا ولاتفيا مع بولندا تطالب الاتحاد الأوروبي والحلف الأطلسي بمعارضة (السياسة الإمبريالية(لروسيا.

□ فشل اجتماع جديد لمجلس الأمن الدولي ودعوة الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون لإنهاء العمليات العسكرية.

□ أذربيجان تعلق صادراتها النفطية عبر المرافئ الجورجية.

□ الرئيس الجورجي ميخائيل ساكاشفيلي يقترح وقفاً لإطلاق النار.. وروسيا تطالب بانسحاب القوات الجورجية من منطقة النزاع.

□ استمرار المعارك العنيفة في أوسيتيا الجنوبية وعمليات قصف روسية في ممرات كودوري على مرفأ بوتي وعلى مطار عسكري قرب تبليسي.

□ إرسال 1000 جندي روسي إضافي وسفن حربية إلى جورجيا.

□ السلطات الأوسيتية الجنوبية تعلن سقوط 1600 قتيل في تسخينفالي.. والسفارة الروسية في تبليسي تقول (ما لا يقل عن 2000 مدني) قتل.. وتبليسي تقدر الخسائر الجورجية بـ92 قتيلاً.

ثم استعادت جورجيا استقلالها عام 1991 مثلها مثل العديد من الدول التي استقلت عن الاتحاد السوفييتي..

عانت جورجيا من أزمات اقتصادية واضطرابات داخلية متعددة خلال التسعينات.. وبرزت بعد ما يُعرف بـ (ثورة الزهور) قيادة سياسة قدمت لجورجيا إصلاحات ديمقراطية حقيفية متعددة..

وهي عضو في الأمم المتحدة.. المجلس الأوروبي.. منظمة التجارة العالمية.. وغيرها من المنظمات الأوربية.

جورجيا وبداية الأزمة مع روسيا

دخلت جورجيا في نزاع مسلح عام 2008 ضد روسيا وجماعات انفصالية مسلحة في اوسيتيا الجنوبية.. تجلى ذاك النزاع نهايةً في اعتراف روسيا باستقلال اوسيتيا الجنوبية وأبخازيا.. لكن لم يحذ حذوها في ذلك الا نيكاراجوا.. فنزويلا.. ناورو.. وجمهورية ترانسنيستريا المستقلة بحكم الأمر الواقع.. ومرر البرلمان الجورجي في 28 أغسطس 2008 تشريعاً يعتبر أبخازيا وأوسيتيا الجنوبية تبعتان للاحتلال الروسي.

❋❋❋

وبداية الأزمة بين البلدين عندما اندلعت المعارك بين القوات الأوسيتية والجورجية حول العاصمة تسخينفالي والتي شارك فيها طيران البلدين.. فسُرعان ما صدر قرار روسي بالتدخل العسكري للدفاع عن حليفته (أوسيتيا).. وحتى لا نطيل في سرد أحداثها التي ستبتعد بنا عن موضوع كتابنا الأساسي يمكننا تلخيص خطوات تلك الحرب في النقاط التالية بدءاً من ليلة الجمعة الثامن من أغسطس 2008:

- روسيا تقصف مدينة جوري الجورجية ومطار مارنيولي العسكري (شرق جورجيا).
- اندلاع معارك عنيفة في أوسيتيا الجنوبية وروسيا تقصف غوري ومرفأ بوتي الجورجي على البحر الأسود.

□ موسكو تنفي الاتهامات الأميركية حول نيتها الإطاحة بالرئيس الجورجي.

□ وزارة الدفاع الروسية تعلن إغراق سفينة حربية جورجية قاذفة للصواريخ كانت تحاول مهاجمة سفن حربية روسية.

□ اللجنة الدولية للصليب الأحمر تعلن نزوح حوالي 40 ألف شخص عن ديارهم جراء النزاع.

□ رئاسة الأركان الروسية تعلن أن جورجيا تسحب قواتها من تسخينفالي عاصمة أوسيتيا الجنوبية التي بسطت قوات حفظ السلام الروسية سيطرتها على (القسم الأكبر منها).

□ وزير الخارجية الفرنسي برنار كوشنير يصل تبليسي ويدعو لإيجاد وسائل من أجل وقف إطلاق نار فوري في النزاع القائم بين جورجيا وروسيا.

□ ويقدم خطة سلام من ثلاث نقاط يدعمها الاتحاد الأوروبي: احترام وحدة وسيادة أراضي جورجيا ووقف فوري للعمليات العدائية والعودة إلى الوضع الذي كان سائدا على الأرض قبل اندلاع المعارك.

❋❋❋

□ مقتل وإصابة عدة جنود روس في قصف جورجي على عاصمة أوسيتيا الجنوبية.

□ الطيران الروسي يقصف قاعدة عسكرية في ضاحية العاصمة الجورجية تبليسي.. وأكثر من 50 طائرة للقوات الروسية تحلق فوق الأراضي الجورجية والعاصمة تبليسي تتعرض للقصف.

□ المتحدث باسم وزارة الداخلية الجورجية شوتا أوتاشفيلي يعلن صباح الاثنين أن مدينة غوري الجورجية تتعرض لقصف (كثيف) من المدفعية والطيران الروسيين وأن قوات برية تستعد لشن هجوم عليها.

□ ويوضح أن القوات الروسية (لم تصل بعد إلى غوري ولكن يبدو أنها تستعد لدخولها).. وأكد أن القوات الجورجية ترد على المواقع الروسية.

- تسخينفالي تخضع لسيطرة الجيش الروسي.. وجورجيا تسحب قواتها من أوسيتيا الجنوبية وتطالب بوساطة الولايات المتحدة.
- اتفاق بين روسيا وجورجيا على إقامة ممرات إنسانية لإجلاء الجرحى واللاجئين.
- البيت الأبيض يحذر روسيا من أن (تصعيدها غير المتكافئ والخطير) للنزاع في أوسيتيا الجنوبية سينعكس بشكل كبير على علاقاتهما.
- مرسوم صادر عن الرئيس الأبخازي سيرجي باجابش يعلن أبخازيا في (حالة حرب) على جزء من أراضيها الأحد لمدة عشرة أيام.
- روسيا تندد بما وصفته بالـ (إبادة) في أوسيتيا الجنوبية.
- مقتل صحافيين في أوسيتيا الجنوبية يعملان في وسيلتي إعلام روسيتين.. وإصابة صحافيين أميركيين يعملان مع صحيفة (ذي ميسنجر) الجورجية.
- ساكاشفيلي يدعو الحلف الأطلسي والأمم المتحدة والولايات المتحدة لمساعدة بلاده.. وتبليسي تدعو روسيا إلى الشروع في مفاوضات وتأمر قواتها بوقف إطلاق النار.. في المقابل موسكو تؤكد أن القوات الجورجية تابعت إطلاق النار.
- أبخازيا تقول إن جورجيا حشدت 4000 جندي على امتداد حدودهما.
- قصف جوي على مطار عسكري في جورجيا وسلطات جورجيا تتهم موسكو بقصف مطار تبليسي الدولي وروسيا تنفي.
- موسكو تؤكد أن (لا نية لديها باجتياح جورجيا).
- اتصال مباشر بين وزيري خارجية روسيا وجورجيا.
- تبليسي تسحب 1000 جندي من العراق على أن تستكمل سحب كامل جنودها لاحقاً.
- واشنطن تتهم موسكو بالسعي لإسقاط النظام الجورجي وشن حملة (ترهيب) في جورجيا.. وموسكو ترفض هذه الاتهامات وساكاشفيلي يقول أن وجود جورجيا مهدد.

الفصل الثامن

8



بوتين..

ومصر.. والأشرق الأوسط!!

- بعثت جورجيا بقوات لاستعادة منطقة أوسيتيا الجنوبية الانفصالية يوم 8 أغسطس مما أدى الى هجوم عسكرى مضاد من جانب روسيا.. وانتهى الصراع بوقف لاطلاق النار بين تبيليسى وموسكو بوساطة فرنسية.

- وأدى اعتراف روسيا بأوسيتيا الجنوبية وأبخازيا.. المنطقة الاخرى المنفصلة عن جورجيا.. كدولتين مستقلتين إلى ازدياد التوتر فى علاقاتها مع هذه الجمهورية السوفيتية السابقة.

- كرر فلاديمير بوتين أن روسيا لا تنوى الاعتذار عن إجراءاتها خلال صراعها الاخير مع جورجيا.

- وذكر بوتين خلال مقابلة مع قناة (روسيا) التليفزيونية (أننا لسنا بحاجة إلى الاعتذار لأحد.. نحن موقنون بأننا على صواب.. واننا لن ندخل فى مجادلات أيضاً).

- وقال رئيس الوزراء الروسى أن التعاون بين روسيا والغرب لا ينبغى أن يفتر بسبب هذه الأزمة فى القوقاز.

- وذكر بوتين أن روسيا لديها موارد وبدونها (لا يستطيع شركائها أن يبقوا أو سيكون الأمر شديد الصعوبة بالنسبة لهم) بينما يعد ما تتلقاه روسيا من شركائها الدوليين مُتاحاً على الكثير من الساحات العالمية الأخرى.

***

8
بوتين..
ومصر.. والأشرق الأوسط!!

هناك تقرير ديبلوماسي خطير كشفت عنه الصحافة العالمية.. وهناك من أسنده إلى موقع (ويكيليكس) الشهير بتبنيه ونشره مقل هذه التقارير الفاضحة.. كشف التقرير ديبلوماسي أن الغرب تؤرقه بشكل كبير مسألة تصاعد دور الإسلاميين في الشرق الأوسط والدول العربية.. وأوصى بضرورة العمل وسريعاً على ضرورة تحجيم دور الجماعات الأصولية في هذه المنطقة لأنهم كالعدوي الميكروبية سرعان ما سينتقلوا إلى بلادهم..

في هذا السياق قام دول غربية عديدة بمساعدة لبنان وجيشهابعد «معركة عبرا[1]».

وأوضح التقرير أن ما حدث في مصر كان متوقع أن يحدث مثله في الدول الغربية.. وأن قادة «مجموعة الثماني» ناقشوا قضية تسلّم الإسلاميين للسلطة في عدد من الدول العربية ومن بينها مصر.. حيث تحدث الرئيس الروسي بوتين في اجتماع القادة الذي عقد في إيرلندا الشمالية حديثاً طويلاً في هذا الشأن.

بوتين يفتح النار على الجميع

وفي كلمته فتح بوتين النار على جميع القادة المشاركين في اللقاء.. وقال بالنص:

---

(1) وقعت معركة عبرا في 23 يونيو 2013 وخاضها الجيش اللبناني ضد الأصولي (أحمد الاسير) حيث حاصره الجيش وشل حركته وتمكنت من حصاره في مسجد بلال ابن رباح الذي تحصن فيه هو وجماعته لعدة أيام متتالية.. وكان من بين مجموعته المطرب الشهير (فضل شاكر) الذي كان قد اعتزل الغناء وتفرغ لما يفهم أنه (الدعوة)..

بوتين.. والدور على أوباما..

ثم توجه بوتين بحديثه في كلمته تلك التي ننقلها بالنص إلى الرئيس الأميركي (أوباما) وخاطبه قائلاً:

«لقد أرسلت بلادك جيشها إلى أفغانستان عام 2001 بذريعة محاربة طالبان وتنظيم القاعدة والإرهابيين التكفيريين الذين اتهمتهم حكومتك بتنفيذ هجمات 11 سبتمبر.. وها أنت اليوم تتحالف معهم في سوريا.. وتعلن رغبتك مع حلفائك بإرسال أسلحة إليهم.. وها هي قطر التي تقيم فيها أكبر قاعدة عسكرية لقواتك في المنطقة تفتح مكتباً تمثيلياً لطالبان على أراضيها».

والرئيس الفرنسي لم يسلم من نيران بوتين

ثم توجه بوتين بحديثه إلى الرئيس الفرنسي:

«سيادة الرئيس: كيف ترسل جيشك إلى مالي لمقاتلة الإرهابيين التكفيريين من جهة.. ومن جهة ثانية تتحالف معهم في سوريا وتدعمهم.. وتريد أن ترسل لهم الأسلحة الثقيلة لمقاتلة النظام؟».

و(ديفيد كاميرون) رئيس الوزراء البريطاني أيضاً

وكان لرئيس الوزراء البريطاني ديفيد كاميرون نصيب من نيران بوتين:

«سيد كاميرون: أنت تطالب بقوة بتسليح الإرهابيين في سوريا.. وهم ذاتهم الذين نفّذ اثنان منهم جريمة ذبح جندي بريطاني في أحد شوارع لندن في وضح النهار وأمام المارّة[1].. غير آبهين لا بدولتك ولا بسلطتك ولا بأمنك.. وارتكبوا جريمة مماثلة أيضاً في شوارع باريس ضد أحد الجنود الفرنسيين».

---

(1) كان بوتين يقصد جريمة القتل الشهيرة التي وقعت يوم 22 مايو 2013 وأُدينَ فيها بريطانيان من أصل نيجيري هما: مايكل أديبولاجو ومايكل أديبوال وادعيا أنهما «جنود الله في لندن» وفيها أقدما الاثنان على قتل جندي بريطاني كان يدعى لي ريجي وقطعا رأسه في وضح النهار بأحد شوارع العاصمة البريطانية.

«تريدون تنحي الرئيس بشار الأسد؟ أنظروا إلى القادة الذين صنعتموهم في الشرق الأوسط في سياق ما سميتموه الربيع العربي.. ها هي شعوب المنطقة تنبذ هؤلاء القادة.. الثورة ضد محمد مرسي في مصر مستمرة ومن يعرف طبيعة المجتمع المصري يدرك أنه مجتمع مدني عريق ومتنوع الثقافة والحضارة وله تاريخ في العمل السياسي الراقي وهو لن يقبل محاولات الفرض عليه بالقوة.. أما أردوغان فقد تحرك ضده الشارع التركي.. وهذه هي بداية أفول نجمه وفي تونس.. الحكم الإخواني ـ السلفي الذي صنعتموه لم يعد مستقراً ولن يكون مصير تونس بعيداً عن إمساك الجيش بمقاليد الحكم.. لأن أوروبا لن تقبل باضطرابات على حدودها[1] وليبيا بعد القذافي زرعتم فيها الفوضى.. وهناك عجز عن بناء سلطة تعمل على إعادة الدولة هناك.. واليمن بعد رحيل علي عبد الله صالح يفتقد للاستقرار داخل الحكم أو الهدوء في الشارع.. والاضطرابات العسكرية والأمنية لا تزال تتحكم بكافة مناطقها.

أما الخليج بكامله.. فهو على فوهة بركان من البحرين إلى كافةدوله.. والآن تطلبون من روسيا أن تترك الأسد ونظامه وأن تسير في ركب معارضة لا يعرف قادتها غير الفتاوى التكفيرية.. ولا يعرف عناصرها متعددو الجنسيات والاتجاهات غير الذبح وأكل لحوم البشر.. أيها السادة إنكم تكيلون الأمور بمكيالين وتنظرون للأزمة السورية وفق صيغة صيف وشتاء تحت سطح واحد.. أنتم تكذبون على شعوبكم وعلى أنفسكم من أجل تمرير مصالحكم.. وهذا أمرٌ لا شأن لنا به.. ولكن من غير المسموح أن تكذبوا علينا وعلى دول العالم وشعوبها.. لأن المسرح الدولي ليس لكم وحدكم والأحادية التي انفردتم بها منذ أكثر من عقدين من الزمن انتهت إلى غير رجعة.. إنكم جميعاً تقفون في سوريا مع قوى ادعيتم خلال السنوات العشر الاخيرة أنكم تحاربونها بحُجة الارهاب.. وها أنتم اليوم تتحالفون معها وتدعمونها لتصل إلى الحكم هناك.. وتعلنون أنكم ستسلحونها وتعملون على تسهيل إرسال مقاتليها إلى سوريا لإسقاطها وإضعافها وتفتيتها.. بربكم عن أيةِ ديموقراطيةٍ تتحدثون؟ تريدون نظاماً ديموقراطياً في سوريا يحل مكان نظام الأسد.. وهل تركيا والدول الحليفة لكم في المنطقة تنعم بالديموقراطية؟».

(1) الموقع الجغرافي لتونس يجعلها قريبة جداً لدرجة التداخل مع الحدود الأوربية.. ووقت إلقاء بوتين لكلمته لم يكن رئيس هيئة الأركان التونسي قد قدم استقالته بعد معلناً نيته الترشح لرئاسة الجمهورية.

بوتين.. والدور على أوباما..

ثم توجه بوتين بحديثه في كلمته تلك التي ننقلها بالنص إلى الرئيس الأميركي (أوباما) وخاطبه قائلاً:

«لقد أرسلت بلادك جيشها إلى أفغانستان عام 2001 بذريعة محاربة طالبان وتنظيم القاعدة والإرهابيين التكفيريين الذين اتهمتهم حكومتك بتنفيذ هجمات 11 سبتمبر.. وها أنت اليوم تتحالف معهم في سوريا.. وتعلن رغبتك مع حلفائك بإرسال أسلحة إليهم.. وها هي قطر التي تقيم فيها أكبر قاعدة عسكرية لقواتك في المنطقة تفتح مكتباً تمثيلياً لطالبان على أراضيها».

والرئيس الفرنسي لم يسلم من نيران بوتين

ثم توجه بوتين بحديثه إلى الرئيس الفرنسي:

«سيادة الرئيس: كيف ترسل جيشك إلى مالي لمقاتلة الإرهابيين التكفيريين من جهة.. ومن جهة ثانية تتحالف معهم في سوريا وتدعمهم.. وتريد أن ترسل لهم الأسلحة الثقيلة لمقاتلة النظام؟».

و(ديفيد كاميرون) رئيس الوزراء البريطاني أيضاً

وكان لرئيس الوزراء البريطاني ديفيد كاميرون نصيب من نيران بوتين:

«سيد كاميرون: أنت تطالب بقوة بتسليح الإرهابيين في سوريا.. وهم ذاتهم الذين نفّذ اثنان منهم جريمة ذبح جندي بريطاني في أحد شوارع لندن في وضح النهار وأمام المارّة[1].. غير آبهين لا بدولتك ولا بسلطتك ولا بأمنك.. وارتكبوا جريمة مماثلة أيضاً في شوارع باريس ضد أحد الجنود الفرنسيين».

---

(1) كان بوتين يقصد جريمة القتل الشهيرة التي وقعت يوم 22 مايو 2013 وأُدينَ فيها بريطانيان من أصل نيجيري هما: مايكل أديبولاجو ومايكل أديبوال وادعيا أنهما «جنود الله في لندن» وفيها أقدما الاثنان على قتل جندي بريطاني كان يدعى لي ريجي وقطعا رأسه في وضح النهار بأحد شوارع العاصمة البريطانية.

«تريدون تنحي الرئيس بشار الأسد؟ أنظروا إلى القادة الذين صنعتموهم في الشرق الأوسط في سياق ما سميتموه الربيع العربي.. ها هي شعوب المنطقة تنبذ هؤلاء القادة.. الثورة ضد محمد مرسي في مصر مستمرة ومن يعرف طبيعة المجتمع المصري يدرك أنه مجتمع مدني عريق ومتنوع الثقافة والحضارة وله تاريخ في العمل السياسي الراقي وهو لن يقبل محاولات الفرض عليه بالقوة.. أما أردوغان فقد تحرك ضده الشارع التركي.. وهذه هي بداية أفول نجمه وفي تونس.. الحكم الإخواني ـ السلفي الذي صنعتموه لم يعد مستقراً ولن يكون مصير تونس بعيداً عن إمساك الجيش بمقاليد الحكم.. لأن أوروبا لن تقبل باضطرابات على حدودها[1] وليبيا بعد القذافي زرعتم فيها الفوضى.. وهناك عجز عن بناء سلطة تعمل على إعادة الدولة هناك.. واليمن بعد رحيل علي عبد الله صالح يفتقد للاستقرار داخل الحكم أو الهدوء في الشارع.. والاضطرابات العسكرية والأمنية لا تزال تتحكم بكافة مناطقها.

أما الخليج بكامله.. فهو على فوهة بركان من البحرين إلى كافةدوله.. والآن تطلبون من روسيا أن تترك الأسد ونظامه وأن تسير في ركب معارضة لا يعرف قادتها غير الفتاوى التكفيرية.. ولا يعرف عناصرها متعددو الجنسيات والاتجاهات غير الذبح وأكل لحوم البشر.. أيها السادة إنكم تكيلون الأمور بمكيالين وتنظرون للأزمة السورية وفق صيغة صيف وشتاء تحت سطح واحد.. أنتم تكذبون على شعوبكم وعلى أنفسكم من أجل تمرير مصالحكم.. وهذا أمرٌ لا شأن لنا به.. ولكن من غير المسموح أن تكذبوا علينا وعلى دول العالم وشعوبها.. لأن المسرح الدولي ليس لكم وحدكم والأحادية التي انفردتم بها منذ أكثر من عقدين من الزمن انتهت إلى غير رجعة.. إنكم جميعاً تقفون في سوريا مع قوى ادعيتم خلال السنوات العشر الاخيرة أنكم تحاربونها بحُجة الارهاب.. وها أنتم اليوم تتحالفون معها وتدعمونها لتصل إلى الحكم هناك.. وتعلنون أنكم ستسلحونها وتعملون على تسهيل إرسال مقاتليها إلى سوريا لإسقاطها وإضعافها وتفتيتها.. بربكم عن أيةِ ديموقراطيةٍ تتحدثون؟ تريدون نظاماً ديموقراطياً في سوريا يحل مكان نظام الأسد.. وهل تركيا والدول الحليفة لكم في المنطقة تنعم بالديموقراطية؟».

---

(1) الموقع الجغرافي لتونس يجعلها قريبة جداً لدرجة التداخل مع الحدود الأوربية.. ووقت إلقاء بوتين لكلمته لم يكن رئيس هيئة الأركان التونسي قد قدم استقالته بعد معلناً نيته الترشح لرئاسة الجمهورية.

بوتين يتنبأ بنهاية مرسي:

عندما أطلق بوتين نبوءته تلك كان مرسي وقتها ما يزال قابعاً على كرسي الحكم في مصر.. لكنه سقط بعدها بحوالي شهر واحد لتتحقق النبوءة كاملة.. فكيف جاءت نبوءة بوتين؟

تتلخص نبوءة بوتين فيما رد به على مراسل قناة (C.N.N) الأمريكية عندما طالبه المراسل بالتعليق على قرار الرئيس محمد مرسي.. بقطع العلاقات مع دمشق فرد عليه رداً مفحماً إذ قال بالحرف الواحد:

(هذا النوع من الرؤساء لا يعيش طويلاً.. ويرحل دائمًا ضمن مأساة) وفي كلمته أمام قمة الثمانية التي عرضنا لها ضمن فصول هذا الكتاب ذلك ضمنياً عندما قال صراحةً للقادة المشاركين في القمة:

«تريدون تنحي الرئيس بشار الأسد؟ أنظروا إلى القادة الذين صنعتموهم في الشرق الأوسط في سياق ما أسميتموه الربيع العربي.. ها هي شعوب المنطقة تنبذ هؤلاء القادة.. الثورة ضد محمد مرسي في مصر مستمرة ومن يعرف طبيعة المجتمع المصري يدرك أنه مجتمع مدني عريق ومتنوع الثقافة والحضارة وله تاريخ في العمل السياسي الراقي وهو لن يقبل محاولات الفرض بالقوة عليه)

كان كلامه يحمل صراحةً حيثيات الاتهام لهؤلاء القادة بأنهم سبب كل بلاءٍ يأتي من تلك الجماعات الأصولية.. ويحمل في نفس الوقت إدانة مباشرة للقوى الإمبريالية التي قامت بعملية الإملاء.. وكذلك لتيار الإخوان المسلمين الذي قَبِلَ القيام بهذا الدور وأراد أن يفرض رؤيته الأحادية على الشعب المصري.

❋❋❋

وبعد الإطاحة بمرسي أعلن بوتين صراحةً أكثر من مرة دعم بلاده للرئيس المصري عبد الفتاح السيسي.. ودعاه بالطبع لزيارة روسيا في واحدة من أوليات زيارات السيسي للخارج منذ توليه رئاسة مصر..

وكان السيسي وهو يفكر في تلبية دعوة الرئيس الروسي يدرك تماماً حجم المخاطر التي

مفاجأة اللقاء

أما مفاجأة الاجتماع الي تحدث فيه بوتين بكل هذه الصراحة والقسوة ليعري رؤساء أهم صبعة دول في العالم فتمثلت في تأييد المستشارة الألمانية (أنجيلا ميركل[1]) لكل كلمة قالها بوتين.. وأعلنت رفض بلادها لأي حلّ في سوريا غير الحل السياسي وبحسب تعبيرها :

«الحل العسكري سيقود سوريا والمنطقة إلى المجهول»

ورفضت بشدّة تسليح المعارضة السورية وقالت:

« كي لا تصل هذه الأسلحة إلى يد الإرهابيين ويعمدوا إلى استخدامها في عمليات نوعية في مدن دول الاتحاد الاوروبي».

كما أشارت إلى عدم رغبتها في أن ترى بعض شركائها الأوروبيين يذهبون في مغامرات عسكرية وسياسية من شأنها أن تساهم أكثر في عجز دولهم المالي والاقتصادي لأن المانيا لم يعد بمقدورها أن تشكل رافعة مالية واقتصادية لهذه الدول.. أو أن تساهم بالتغطية على أخطائها.

***

بوتين.. ومصر

يهتم الرئيس الروسي بوتين اهتماماً خاصاً جداً بمصر خاصةً أنه يعتبر وقوفه بجانبها هو وقوف في وجه الولايات المتحدة التي كانت تتبنى الإخوان عند وصولهم للحكم.. والحقيقة أن تشابك العلاقة بين مصر وروسيا قديم..

(1) إنجيلا دوروتيا من مواليد (17 يوليو 1954).. سياسية ألمانية وزعيمة الاتحاد الديمقراطي المسيحي أحد أبرز الأحزاب السياسية في ألمانيا.. وتتولى منذ 22 نوفمبر 2005 منصب المستشار في ألمانيا.. وهي أول امرأة تتولى هذا المنصب فيها.. وحسب مجلة فوربس تعد ميركل أقوى امرأة في العالم لعام 2011 وبذلك حازت على الصدارة في قائمة أقوى امرأة في العالم في خمس سنوات.

- الوضع في قطاع غزة
- مكافحة الإرهاب.

الهدف المستتر للقاء السيسي وبوتين:

لاشك أن زيارة السيسي لروسيا كانت تحمل رسالة ضمنية مهمة لكافة دول العالم لا تعنى سوى أمر واحد هو انتهاء زمن القطب الأوحد الذي يتحكم في العالم..

ومن نتائجها المباشرة واللحظية هو عودة التوازن الدولي في المنطقة.. وهو ما لن تأتي نتائجه بالإيجابية بين يومٍ.. وليلة وعلينا جميعاً الانتظار.

***

تتعرض لها الدول العربية.. والتي أصبحت واقع يهدد الوطن العربي بالانقسام.. وفقدان الهوية العربية والقومية.. وإشعال الحروب فيها.. لكي يُفرض عليه وعلى باقي المنطقة شرق أوسط كبير.. تقوده دولًا غير عربية.. مثل إسرائيل وإيران وتركيا.. كما كان يشعر في قرارة نفسه بالفخر لأن ثورة 30 يونيو قضت على هذه الأحلام.

وعندما تحققت الزيارة كان أتت بصدى ورد فعل عالميين كبيرين.. وفي المؤتمر الصحفي العالمي الذي عقده بوتين لضيفه السيسي في منتجع سوتشي الروسي.. وقف بوتين ليقول ما يمكننا تضمينه في العناصر التالية:

- روسيا ستمد مصر بالأسلحة.. وستتعاون معها بكل جدية في مجال صناعة السيارات والشاحنات.
- مصر سوف تشهد الفترة المقبلة زيارة وفود سياحية روسية كبيرة.

كيف كانت زيارة السيسي لبوتين؟

كان المشهد متوتراً للغاية.. فطائرة الرئيس المصري في طريقها إلى روسيا لابد أن تمر عبر الأجواء التركية.. واحتمالات إسقاطها بأي شكل واردو.. بل ومتوقعة تماماً.. وهنا جاءت أولى مفاجآت بوتين.. فقد أمر بأن يكون هناك سرب من طائرات (سوخوي» الروسية المقاتلة ترافق وتأمن طائرة الرئيس المصري طوال رحلتها حتى دخولها إلى المجال الجوي الروسي وهبوطها في مطار مدينة (سوتشي» المطلة على البحر الأسود بجنوب روسيا..

وبعد وصول السيسي توجه مباشرةً إلى القرية الأولمبية.. حيث كان في استقباله بوتين بنفسه.

وخلال الزيارة بحث الاثنان عدة ملفات مشتركة جاءت كالتالي:

- التعاون الاقتصادي والعسكري..
- ملف التعاون في مجال الطاقة النووية السلمية والأقمار الصناعية.. الملفات الإقليمية كسوريا والعراق وليبيا

الفصل التاسع

9



رجال ونساء

حول بوتين!!

9

رجال ونساء حول بوتين!!

> «بوتين بهواياته المتعددة دائماً يشغل بال الجميع في روسيا وخارجها.. لكن تبقى أجندته النسائية وحكايات علاقاته الخاصة هما الحديث اليومي الذي لا يمل الروس من الحديث فيه؟
>
> فماذا عن أجندة بوتين النسائية وماذا تحوي بين صفحاتها؟

نبدأ قراءتنا للأجندة من ذلك الخبر الطريف الذي تداولته وسائل الإعلام الروسية والعالمية بشأن اقتراح غريب أعلنته البرلمانية الروسية «يلينا ميزولينا» الحاصلة على الدكتوراه فى القانون.. والتى تشغل منصب رئيسة اللجنة البرلمانية لشئون المرأة والطفل بالبرلمان الروسي.. فماذا اقترحت النائبة؟

استنساخ بوتين

اقترحت «يلينا ميزولينا» إعطاء النساء الروسيات حيوانات منوية من الرئيس «بوتين» وذلك بهدف خلق جيل جديد من النُخبة السياسية والعسكرية المتفوقة باعتبار أن بوتين هو النموذج الأكثر اكتمالاً لذلك[1].. تفاصيل الاقتراح تضمنت مطالبتها بتوزيع حيوانات بوتين المنوية على ألف امرأة روسية لخلق جيل من القادة المتفوقين.. جاء ذلك في كلمة النائبة أثناءحضورها إحدى جلسات مناقشة موضوع الخصوبة فى روسيا.. ووضحت في كلمتها أنها تهدف من خلال هذا المقترح إلى تحسين النسل فى روسيا وخلق جيل جديد من النخبة السياسية والعسكرية.. وقالت أنه في حال الموافقة على اقتراحها فإن كل مواطنة روسية يمكنها الحصول

---

(1) بالطبع من وجهة نظر النائبة.. ولله في خلقه شئون..

كل هذا التفوق ليس رياضياً فحسب إنما علمياً.. وفنياً.. وسياسياً أيضاً.. كيف؟

بفضل تفوقها العلمي أصبحت أيضاً «كابايفا» واحدة من المتخصصات أكاديمياً في عِلم الرياضة وحصلت على درجة الماجستير في العلوم الرياضية..

كما تم ترشيحها أكثر من مرة للعديد من الأعمال الفنية ولهث وراءها الكثير من شركات الإنتاج السينمائي ليس في روسيا فقط إنما في العديد من دول العالم.. وقيل أنها شاركت في دور مساعد بأحد الأفلام..

وسياسياً عندما قرر حزب روسيا الموحدة الاستفادة من شعبيتها الجارفة لجذب الشباب لعضوية الحزب وبعد انضمامها للحزب قام بترشيحها على قوائمه لعضوية «مجلس الدوما[1]» ونجحت من المرةِ الأولى باكتساح وقيل وقتها أن بوتين ساعدها كثيراً.. وساهم في دعمها داخل البرلمان الروسي فأصبحت خلال أشهر قليلة من أبرز أعضاءه والمشرفة الفعلية على كل مشروعات القوانين المتعلقة بالشباب والرياضة في الدوما.. كما أسندت اليها عضوية اللجنة القومية للإعلام.

هل تصبح سيدة روسيا الأولى؟

لكن كل هذا لا يهم.. المهم أن الشعب الروسي بات ينظر إليها دوماً باعتبارها سيدته الأولى القادمة لكونها المرشحة الدائمة للزواج من رئيسه بوتين.

من هي إلينا كابايفا:

ما سبق وقلنان عن كابايفا كان تعريفها كشخصية عامة.. لكن حتى تتضح الصورة لا بد أن نقترب من نشأتها وبداياتها الأولى.. ونقول:

وُلِدَتْ إلينا في الثاني عشر من مايو سنة 1983 لأب رياضي احترف لعب كرة القدم وينحدر من أصول تترية وأم ولدت في طشقند التابعة وقتها للاتحاد السوفيتي.. وبدأت ممارسة الجمباز وهي في الثالثة من عمرها في أوزبكستان..

(1) يُعرف البرلمان الروسي باسم (الدوما).

على مبتغاها من الرئيس الروسى عن طريق البريد.. وبذلك تستطيع المرأة أن تحمل وتنجب طفلاً مستنسخاً من بوتين.. وتوقعت النائبة أن النسل سيكون من الذكور فقط.

هكذا تنظر المرأة الروسية لبوتين

من هذا الخبر الطريف نستطيع أن ندرك كيف تنظر المرأة الروسية بشغف وولە إلى رئيسها.. فالنائبة هي أولاً وأخيراً امرأة.. تفكر مثلما تفكر باقي نساء شعبها.. وتنظر إلى رئيسها نفس نظرة باقي النساء..

ولكن إن كانت تلك هي نظرة نساء روسيا إلى بوتين.. فكيف ينظر بوتين إلى المرأة بشكلٍ عام؟

❋❋❋

بوتين وإلينا كابايفا.. فراشة العالم



إلينا كابايفا توصف بأنها أجمل نساء روسيا فتنت الدنيا بأسرها عندما أصبحت واحدة من ثلاث معجزات بشرية في عالم رياضة الجمباز هم فقط من نجحن في حصد كافة ألقاب بطولات الجمباز الكبرى(1) واعتزلت بعدها نهائياً عام 2007 بعدما كانت قد تمكنت من حصد 14 ميدالية في بطولة العالم و25 ميدالية في البطولات الأوروبية..

(1) الألعاب الأولمبية .. بطولة العالم.. كأس الأمم الأوروبية.. نهائي كأس العالم ونهائي الجائزة الكبرى.

فتاة غلاف:

وحتى الآن ما يزال أمر العلاقة بين بوتين و إلينا كابايفا غامضاً وغير واضح إلى أين سينتهي بهما المطاف.. لكن في كل الأحوال يمكننا القول أن كابايفا خرجت فائزة تماماً من تلك العلاقة.. فقد شقّت طريقها بسرعة الصاروخ إلى سماء النجومية السياسية بعد أن حصدت قبلها نجومية رياضية من طراز خاص.. وسريعاً تحولت إلى فتاة غلاف لواحدة من أشهر المجلات في العالم وهي مجلة «فوج».. ودليل نجوميتها هو قيام مؤسسة «باربي» الشهيرة للدمى بصنع نسخة خاصة على شكل إلينا كابايفا ودعت بشكل عالمي للمشاركة في حفل خاصة لإطلاقها..

❋❋❋

آنا تشابمان.. العميلة الصهباء



البعض يعرفون «آنا تشابمان» بكونها فتاة غلاف «مجلة ماكسيم» الخاصة بالرجال في نسختها الروسية والتي أثارت شهية جميع المراهقين في العالم.. لكنها ليست كذلك فقط فللمرأة حكاية اختلطت فيها حبال السياسة بالجاسوسية بالشهرة والأضواء وآثرت تلك المرأة أن تأخذ حظها ونصيبها منها جميعاً.. وقد نجحت..

مفارقة غريبة:

المفارقة الغريبة في مشوار كابايفا الرياضي مع الجمباز أنها بعد أن انتقلت لتخضع لتدريب مكثف في «كازاخستان» انتهى الأمر برفض القائمين على اللعبة تصعيدها لممارسة اللعبة على المستوى الأوليمبي بحجة أنها ثقيلة الحركة وتفتقد للجمال اللازم لممارسة رياضة الجمباز الإيقاعي..

لا يأس مع الجمباز:

لم تيأس والدة كابايفا وانتقلت بها إلى العاصمة موسكو وقدمتها لمدرب محترف اسمه «إيرينا فاينر» الذي نجح في تأهيل الفتاة للمشاركة في أول بطولة عالمية لها عام 1996 وبعدها بعامين فقط نالت أول ألقابها في بطولة كأس الأمم الأوروبية في البرتغال.. وكانت في ذلك الوقت الذي أصغر عضو في الفريق الروسي حيث لم يكن عمرها آنذاك قد تجاوز الخامسة عشرة.. وفى العام التالي تُوِجَتْ كابايفا باللقب الأوروبي مُجدداً وأضافت إليه اللقب العالمي في اليابان.. لتحتكر بعدها كل ألقاب البطولات الأربع الكبرى وكان أبرزها بطولة العالم والمنافسات الأوليمبية في أثينا 2004 وقد أعلنت الاعتزال فور تتويجها بالذهبية الأولمبية لكنها تراجعت عام 2005 وفازت مجدداً بالجائزة الكبرى وتوجتها بالذهبية في كأس الأمم الأوروبية..

صمت يثير الشك:

ونعود لعلاقتها ببوتين ونقول أن إلينا كابايفا التزمت تماماً الصمت في بداية تداول أنباء علاقتهما معاً.. ولم تعلق عليها على الإطلاق.. حتى عندما ترددت الأخبار حول كون بوتين يسعى للطلاق من أجل الارتباط بها لم تعلق.. ولكن عندما بدأت الشائعات تخوض في سمعتها مؤكدةً أنها أنجبت طفلاً من بوتين.. تحدثت للمرة الأولى وأكدت أن كل ما يتردد مجرد لا أساس له من الصحة.. وتبعها بوتين فكذب كل ما قيل عن وجود أية علاقة بينهما.

***



غُلاف المجلة

حيث كانتى آنا تشابمان تمارس عملها كجاسوسة في نيويورك من خلال مكتب عقاري خاص بها.. إلا أن المخابرات الأمريكية تمكنت من كشفها عام 2010 وأمام سلطات التحقيق الأمريكية اعترفت بأنها تعمل كجاسوسة لصالح مخابرات بلدها.. وبعد ذلك تم تبادلها مع تسعة أشخاص آخرين عبر صفقة غامضة المعالم بين إدارتي روسيا وأمريكا.. وعند عودتها لبلادها لقيت الجاسوسة الحسناء ترحيباً شعبياً ورسمياً كبيراً.. وتم الاستعانة بها كمقدمة برامج بإحدى القنوات التلفزيونية.

❋❋❋

حكاية الصور:

ونبدأ بحكاية الصور المثيرة حيث ظهرت «آنا تشابمان» على غلاف المجلة وموقعها الإلكتروني وهي شبه عارية تمسك بيدها مسدساً وترتدي ثياب داخلية حمراء وسوداء وبرتقالية.

الموقع الإلكتروني للمجلة قام أيضاً بتحميل فيلم فيديو خاص للحسناء الروسية.. وبجواره كتبت إدارة المجلة تعليقاً يقول:

«هذا ليس حلماً.. العميلة الصهباء لم تتعر فقط أمام عدسة ماكسيم وإنما أخلت بوعدها لالتزام الصمت.. فتحدثت عن الرجال والمغازلة ومشاريعها المستقبلية».

ومن هنا ننطلق لنحكي عنها..

عميلة لمن؟ ولماذا الوعد بالصمت.. والصمت حيال ماذا؟

من هي «آنا تشابمان»؟

سيدة أعمال روسية من مواليد الثالث والعشرين من فبراير سنة 1982 عملت كجاسوسة لصالح مخابرات بلدها روسيا.. حتى تم الإيقاع بها والقبض عليها مع تسعة أشخاص آخرين في السابع والعشرين من يونيو سنة 2010

وفي إطار صفقة تبادل جواسيس هي الأكبر من نوعها بين روسيا وأمريكا منذ نهاية الحرب الباردة أعيدت تشابمان إلى روسيا في الثامن من يوليو 2012

آنا.. الجاسوسة:

كانت «آنا تشابمان» واحدة من عشرة جواسيس تابعين للاستخبارات الروسية سلمتهم واشنطن إلى موسكو مقابل أربعة آخرين كان قد أُلقي القبض عليهم على الأراضي الروسية بتهمة التجسس لصالح أمريكا.

الفصل العاشر

10



حكاية بوتين..

و ألكساندر ليتفينينكو!!

10

حكاية بوتين..
و ألكساندر ليتفينينكو!!

ألكسندر ليتفينينكو مواطن روسي وُلِدَ في الرابع من ديسمبر عام 1962 في مقاطعة فورونيتش بروسيا.. وفي صدر شبابه استقطبته مخابرات بلاده ليعمل لصالحها.. قَبِلَ ألكسندر العمل معهم بدافع انتمائه الوطني.. وبدأ عمله في مجال مكافحة الجرائم المنظمة[1]..



ألكسندر على فراش الموت

إلى هنا الأمر عادي.. عميل من بين عشرات ومئات العملاء التابعين لأجهزة المخابرات الروسية.. ولكن غير العادي هو ما استشعره (ليتفينينكو) من قذارة بعض ما أُسنِدَ إليه من مهام.. ولم يرتح ضميره للكثير منها.. فقرر التوقف عن العمل مع مخابرات بلاده.. وأصبح

(1) وِفقاً لمسماها الاستخباراتي الروسي تُسمى (وحدة مكافحة التنظيمات المسلحة)..

وصية ألكسندر

وفي اليوم التالي لإعلان وفاته مباشرةً نشرت بعض الصحف البريطانية وصية (ألكسندر) عن طريق صديقه المقرب (أليكس جولدفارب) والذي أكد أن صديقه المتوفى قد أملاها عليه شفاهةً قبل ثلاث أيام فقط من وفاته.. وجاء نصها كالتالي:

(أودُ أن أشكرَ العديد من الناس.. أطبائي وممرضاتي.. ةباقي طاقم المستشفى الذي يفعل في هذه الأثناء كل ما في وسعه لمساعدتي.. أودُ أن أشكر الشرطة البريطانية التي تحقق الآن في قضيتي بكلِ جدٍ واحترافية.. وفي الوقت ذاته تؤمنني وتحمي عائلتي.. أودُ أن أشكر الحكومة البريطانية على رعايتي والاهتمام بي.. عن حق أفخر أني مواطن بريطاني.. أودُ أن أشكر الشعب البريطاني على رسائل الدعم والمساندة.. وما أبداه تجاه محنتي من اهتمام..

أشكر زوجتي مارينا التي وقفت دوماً بجانبي.. ولتعلم أن حبي لها ولابننا لا يعرفُ حدوداً..

ولكنني إذ أرقد هنا.. أحسبني أسمع بوضوح تام دقات أجنحة ملائكة الموت.. ليتني أفر منه.. غير أن ساقي اليوم لن تطيعاني.. ولن تعدو بالسرعة التي أتمناها.. وعلى هذا أظن أن الوقت قد حان.. لأقول شيئاً أو بضع أشياء للمسئول عن وضعي الراهن..

ربما تكون قد نجحتَ أن تُسكتني.. تُخرسني.. ولكن للسكوت ثمن.. ثمن يدفع.. وقد دفعتموه.. دفعتموه حين ارتديتم ثياب البربرية.. ثم دفعتموه مُجدداً حين تدنى بكم للقاع.. للمستوى الذى قبعتم فيه قُساةً متبلدي الإحساس.. وأثبتم معه صدق كل كلمة قالها أعداؤكم وناقدوكم..

أريتموني والعالم من بعدي أنكم تفتقدون كل احترام للحياة والحرية.. تماماً كما تعوزكم قِيم الحضارة.

أبداً ما استحققتم مناصبكم ولا مسؤلياتكم.. ولا ثقة المتحضرين والمتحضرات.

لربما نجحتم أن تسكتوا رجلاً واحداً.. ولكن عواء الثوار والأحرار حول العالم سيدوي..

يبادلها العداء وكأنه لم يكن يوماً من بين رجالها.. وأكثر قام بفضح أمور غير قانونية تتعلق بالاستخبارات وحكاية الملياردير الروسي (بوريس بيريزوفسكي[1]))..

لم تسكت المخابرات الروسية.. وتمكنت من اعتقاله عام 1999 ثم أُطلِقَ سراحه بعدَ أن قبل التوقيع على وثيقة يقر بموجبها امتناعه عن مغادرة الأراضي الروسية..

لكنه وبمساعدة المخابرات البريطانية ـ على أشهر الأقوال ـ تمكن من الهرب لاجئاً إلى بريطانيا التي استقبلته كلاجئ سياسي.. ومنحته جنسيتها..

تفجير روسيا «Blowing up Russia»

كشف ألكسندر في كتابه (تفجير روسيا) عما قامت به المخابرات الروسية من عمليات تفجير في روسيا نفسها وإلصاق التهمة بالمتمردين الشيشان المسلمين بهدف تحريض الشعب الروسي على الحرب على الأقليات المسلمة هناك.

إسلامه ووفاته

لكن بالطبع وكما كان هو نفسه يتوقع تمكنت المخابرات الروسية من الوصول إليه واغتياله بالسم (البولونيوم 210 المشع) بطريقة غامضة..

وفي الثالث والعشرين من نوفمبر 2006 توفيَ (ألكسندر) بإحدى المستشفيات البريطانية بينما كان يتلقى العلاج من أثر السم..

وكانت المفاجأة التي أعلنه أبوه بعد إعلان وفاته أن ابنه (ألكسندر) قد كشف له عن اعتناقه الإسلام قبل يومين فقط من وفاته.. وأنه أوصاه بأن يتم دفنه حسب مراسم الشريعة الإسلامية.. وتم له ما أراد ودُفِنَ في إنجلترا.. وأقيمت عليه صلاة الغائب في الجامع الكبير بوسط لندن.

(1) سنتحدث عنه بالتفصيل فيما بعد.

الفصل الحادي عشر

11



بوتين..

وحكايته مع بوريس بيريزوفسكي!!

حتماً سيدوي.. ويزلزل الأرض.. سيدوي أمام عينيك سيد بوتين.. غفر الله لك ما اقترفته في حقي.. وفي حق روسيا الحبيبة وشعبها..

أملاها

ألكساندر فالتيروفيتش ليتفينينكو

21 نوفمبر 2006

❋❋❋

11

بوتين..

وحكايته مع بوريس بيريزوفسكي!!

بوريس بيريزوفسكي ويُعرف أيضاً باسم (بلاتون يلينين).. هو ملياردير روسي المولد يحمل الجنسيتين الروسية والإسرائيلية.. كان يهودي الديانة قبل أن يعتنق المسيحية الأرثوذكسية عام 1990 عُرِفَ بيريزوفسكي بعدائه الشديد للنظام الروسي خاصةً الرئيسين يلتسين.. وبوتين..

وفي زمن بوريس يلتسين كان يعتبر بيريزوفسكي أحد أبرز رموز الأوليجاركية (حكم الأقلية) في روسيا.. حيث أشارت صحيفة الجارديان البريطانية في تقريرِ سابقٍ لها إلى أن هناك سبعة من بين الأوليجاركيين هم الأكبر والأكثر توحشاً في روسيا في التسيعينات وكانوا يتحكمون في 50 % من اقتصاد روسيا بينهم 6 يهود وهم على الترتيب:

- بوريس بيريزوفسكي..
- ميخائيل خودركوفسكي..
- فلاديمير جوزينسكي..
- ألكسندر سمولينسكي..
- ميخائيل فريدمان..
- فاليري مالكين..

الاقتصادي في روسيا (البيريسترويكا) حيث عمل في عدة مجالات مختلفة لكن جميعها تقريباً تدور في فلك صناعة السيارات ومنها:

- تجارة السيارات التي تنتجها شركة أوتوفاز الحكومية لصناعة السيارات..
- ترأس شركة وساطة (تدعى لوجوفاز) قامت بعمليات تصدير ومن ثم إعادة استيراد السيارات الروسية بشكل وهمي.
- عام 1994 ترأس بيريزوفسكي تحالف سيارات (كل روسيا AVVA) سيء السمعة الذي بادر إلى إطلاق مشروع (السيارة الوطنية) والنتيجة كانت بيع أسهم لمصنع لم يتم إنشاؤه من الأصل وتكبد المستثمرون خسائر قُدِرَت وقتها بنحو 50 مليون دولار.

اليهود هم المستفيدون

هنا لابد من الإشارة إلى ملحوظة مهمة جداً تقول بأن اليهود الروس (ممن هم على شاكلة بيريزوفسكي الذي أنشأ بنكاً خاصاً لتمويل أعماله التجارية) قد استفادوا بشكل هائل من خصخصة ممتلكات الدولة الروسية والتي بيعت لهم بأسعار بخِسة[1] وبلغت أملاك اليهود الروس في الاقتصاد الروسي في ذلك الوقت بلغت بالأرقام ما يلي:

- 70 % في قطاع النفط والغاز الطبيعي..
- 100 % في قطاع السماد الزراعي..
- 80 % في قطاع صناعة السيارات..
- 60 % في قطاع صناعة الطيران المدني.
- 85 % في قطاع الأخشاب..
- 70 % في قطاع البنوك والمصارف..
- 80 % في قطاع شركات التأمين..

(1) ما أشبه مصر بروسيا في هذه الجزئية.. عن نظام مبارك لخصخصة القطاع العام نتحدث..

من هو بوريس بيريزوفسكي؟

وُلِدَ بيريزوفسكي في موسكو في الثالث والعشرين من يناير عام 1946.

وتُوُفِيَ في لندن في ظروف غامضة في الثاني والعشرين من مارس 2013.

وعندما فاحت رائحته واستغلاله لنفوذه السياسي الكبير بدأت الحكومة الروسية تتبع نشاطاته الاقتصادية.. وفي نهايات حكم يلتسين قامت بمضايقته بشدة وملاحقته قضائياً بتهم الفساد وغسل الأموال.. برغم أنه كان أحد الداعمين الأساسيين لحملات الانتخاب الرئاسية ليلتسين ومن بعد بوتين من خلال ما يماكه من أموال وآلة إعلامية (فضائية وصحفية) هائلة..

ولما زاد تضييق الحكومة الروسية عليه وعلى أسرته قام بتهريب أسرته إلى إسرائيل حيث ما تزال تعيش هناك.. بينما تمكن هو من الهروب إلى بريطانيا وهناك منحته الحكومة البريطانية حق اللجوء السياسي.. لكن الحكومة الروسية تقدمت لنظيرتها البريطانية بطلب تسليمها إياه رسمياً عام 2001 وبالطبع لن يُرد عليها في هذا الشأن.

متميز أكاديمياً

درس وتخصص بيريزوفسكي أكاديمياً في العلوم التطبيقية مثل علم الغابات.. والرياضيات التي حَصَلَ على درجة الدكتوراه فيها في مجال نظرية التحكم عام 1983

وفي الفترة ما بين عامي 1975 & 1989 نشر 16 كتاباً..

وفي عام 1991 أصبح عضواً مراسلاً في الأكاديمية الروسية للعلوم..

ثم رئيس مختبر في معهد علوم التحكم التابع لها.

نشاطه الاقتصادي المشبوه

برغم تميزه علمياً وأكاديمياً.. إلا أن اسم بيريزوفسكي ارتبط بالأنشطة الاقتصادية المشبوهة في اقتصاد بلاده الصناعي.. وبدأ يقرتبط اسمه بتلك الأنشطة خلال ما يعرف بمرحلة الإصلاح

مؤسسات صحفية روسية شهيرة من بينه:

- Nezavisimaya Gazeta.
- Novye Izvestiya.
- Kommersant.

أبرز دعاة التحرير

يضاف إلى كل ما سبق أن بيريزوفسكي هو أحد أبرز دُعاة التحرير في السياسة والاقتصاد الروسيين.. وقد استثمر مراراً في الإعلام الليبرالي وموّل المرشحين الليبراليين..

كما تولى لفترة قصيرة منصب السكرتير العام لكومنولث الدول المستقلة ومن ثم حاز على عضوية البرلمان الروسي (الدوما).

اللجوء السياسي

وعلى إثر ملاحقته والتضييق عليه فرّ بيريزوفسكي إلى لندن عام 2001 حيث مُنِحَ هناك حق اللجوء السياسي ومن مكانه في بريطانيا أخذ بيريزوفسكي يكيل الانتقادات للإدارة الروسية... فردت روسيا بإدانته واتهامه بالتحايل والفساد السياسي.. لكنها لم تنجح في استعادته..

نشاطاته بعد اللجوء

وفي بريطانيا واصل بيريزوفسكي نشاطاته الاقتصادية بشكل دولي.. فدخل في شراكات اقتصادية مع نيل بوش[1]

ثم مع الرئيس الأوكراني السابق (ليونيد كرافشوك)

(1) الشقيق الأصغر للرئيس الأمريكي السابق جورج دبليو بوش.

- 65 % في قطاع الإعلام المرئي والمكتوب والمسموع..

وقد أشارت بعض المصادر الاقتصادية إلى أن خسائر روسيا حتى عام 1999 من برامج الخصخصة بلغت ثلاثة تريليونات دولار (3000 مليار دولار) وقد أتاح هذا الثراء الفاحش والسريع لتلك القلة أن تحظى بنفوذ كبير في الحياة السياسة الروسية زمن الرئيس الروسي الراحل بوريس يلتسين.

هو ويلتسين

خلال فترة حكم يلتسين كان بيريزوفسكي من بين رجال الأعمال الذين ارتبطوا مع الرئيس بعلاقات وثيقة.. وقد استغل نفوذه السياسي للحصول على حصص في أبرز الشركات الحكومية الروسية مثل:

- شركة أوتوفاز (AutoVAZ) المصنعة للسيارات..
- الخطوط الجوية إيروفلوت (Aeroflot).

وغيرها الكثير من الأملاك في قطاع النفط والتي شكل منها بالتعاون مع الملياردير اليهودي الروسي (رومان أبراموفيتش) شركة سيبنفت (Sibneft) علماً بأنه قد دفع فعلياً أجزاء صغيرة فقط من القيمة الدفترية لتلك الشركات.

إمبراطوريته الإعلامية

كما استحوذ على العديد من المؤسسات الإعلامية.. هذه المؤسسات الإعلامية هي من قدم دعماً إعلامياً كبيراً ليلتسين كان له أثره الحاسم عند إعادة انتخابه عام 1996.

من بين تلك الممتلكات:

- قنوات ORT و TV6 التلفزيونيتين.

الفصل الثاني عشر

12



حكاية بوتين..

و«خودوركوفسكي»

بيريزوفسكي: لابد أن أُطيح ببوتين

في يناير 2006 كان لـ (بيريزوفسكي) تصريح غاية في الخطورة اختص به إحدى إذاعات موسكو ونقلته فوراً عنها كافة القنوات الإعلامية العالمية.. قال بيريزوفسكي:

(لابد أن أعمل على إطاحة الرئيس الروسي فلاديمير بوتين وحكومته حتى ولو بالقوة)..

وفي أبريل 2007 صرح بيريزوفسكي أيضاً للصحافة البريطانية أنه يجهز لثورة تستهدف الإطاحة ببوتين بالقوة وذلك من خلال أشخاص مهمين في الإدارة الروسية..

ويبدو أن هذين التصريحين لبيريزوفسكي كان ثمنهما حياته فيما بعد..

محاولات اغتياله

تعرض بيريزوفسكي لأكثر من محاولة اغتيال أثناء وجوده في لندن كان من بينها:

- تفجير سيارة ملغومة 2004.
- قام عميل روسي عام 2003 بمحاولة قتل بيريزوفسكي بسلاح مزدوج.. لكن المؤامرة اكتشفت على يد العميل الروسي المنشق ألكسندر ليتفينينكو وتولت التحقيق فيها الشرطة البريطانية.
- في يوليو 2007 أُلقِيَ القبض في بريطانيا على قاتل مستأجر كان يخطط لتصفية بيريزوفسكي.. المتهم تم ترحيله فيما بعد إلى روسيا والكرملين نفى علاقته بالموضوع.

وفاته الغامضة

وفي النهاية تُوُفِيَ بيريزوفسكي في لندن في ظروف غامضة في الثاني والعشرين من مارس 2013

***

12

حكاية بوتين..

و«خودوركوفسكي»

أشهر سجين روسي !!

من هو خودوركوفسكي؟

وما هي حكايته أو حكاية بوتين معه؟

ولماذا كان نقطة فارقة في مرحلة ما من علاقة روسيا بالعديد من دول العالم؟

نتحدث أولاً عن الرجل ونرجيء حكايته مع بوتين وروسيا لنهاية هذا الفصل..



اسمه بالكامل: «ميخائيل خودوركوفسكي بوريسوفيتش» وهو رجل أعمال روسي من أصل يهودي.. كان يوصف دائماً بأنه «أغنى رجل في روسيا» ويُعد واحداً من أكثر الشخصيات نفوذاً في روسيا.. وُلِدَ في السادس والعشرين من شهر يونيو سنة 1963 لأم مسيحية أرثذوكسية.. بينما كان أبوه يهودياً.. فآثر الالتزام بديانة أبيه بل وتواصل مع المؤسسات اليهودية والصهيونية

كانت عملية الإفراج هي عملية سرية بحتة لم يُعلن عنها إلا بعد تنفيذها..

تفاصيل العملية والصفقة ككل تم الاتفاق على تفاصيلها خلف الأبواب المغلقة مع الحكومة الألمانية..

وخرج خودوركوفسكي من محبسه ليستقل طائرة خاصة أكدت وقتها وزارة الخارجية الألمانية أنها هبطت في مطار شوينفيلد في برلين.. ولغموض الصفقة وحتى يتم التعمية على ما تم إخفاؤه من كواليسها قامت الحكومة الروسية بالإفراج المتزامن وقتياً عن عدد كبير من سُجناء آخر تم إدانتهم سابقاً في «جرائم غير عنيفة» بينهم عضوات بفرقة «بوسي ريوت» الغنائية حتى يبدو الأمر وكأنه عفو رئاسي عام.

تصريحات خودوركوفسكي بعد الإفراج عنه

«أشكر من كل قلبي جينشر وزير الخارجية الألماني.. لكن لم يكن طلبي العفو اعترافاً بالاتهامات الموجهة لي.. وأتطلع بشدة إلى اللحظة التي أتمكن فيها من عناق أحبائي»

هذه فقط هي الكلمات التي إلى بها «خودوركوفسكي» للصحافة والرأي العام العالمي لحظة الإفراج عنه.. لم يتطرق أبداً إلى خططه المستقبلية..

قبلها وفي مفاجأة غير متوقعة أعلن الكرملين أن الرئيس الروسي قد وَقَعَ بالفعل مرسوم العفو عن خودوركوفسكي بعد الطلب الذي تقدم به خودوركوفسكي إلى الرئيس لأسباب إنسانية حيث أن والدته مريضة«[1]»

و إذا أردنا الحديث بموضوعية في هذا الشأن فسنقول أن مرض والدةخودوركوفسكي ليس سبباً منطقياً للإفراج عن ابنها.. إنما لابد أنه كان هناك صفقةٌ ما لم تُعلن تفاصيلها.. خاصةً مع إصرار دولة مثل ألمانيا بوزير خارجيتها السابق على التدخل وبقوة في المسألة.. والدليل الأهم هو أنه بمجرد الإفراج عنه سافر خودوركوفسكي مباشرةً إلى برلين..

(1) عقب سماعها النبأ صرحت والدة خودوركوفسكي للتلفزيون الروسي بصوت مضطرب: «لا أكاد أصدق ذلك»..

العالمية بقوة.. ووقت إلقاء القبض عليه وسجنه كان يرأس مجموعة «Menatep 1990» الاقتصادية التي كان يملك النصيب الأكبر من أسهمها بمشاركة آخرين..

كما كان في نفس الوقت يشغل منصب «معاون وزير الوقود والطاقة الروسي» بدءاً من عام 1993.

وفي عام 2005 حُكم عليه بالسجن مع الأشغال الشاقة ثمانية أعوام إثر إدانته «بالاحتيال والتهرب الضريبي» وعلى أثر محاكمة ثانية بتهمة «سرقة النفط وغسيل أموال» بقيمة 23..5 مليار دولار.. رُفعت مدة العقوبة إلى السجن 14 عاماً.. ومن وقتها وتحول خودوركوفسكي إلى صداعٍ لا ينتهي في رأس بوتين ودولة روسيا بكاملها.. حيثُ مارس اللوبي الصهيوني من خلال الحكومة الألمانية والعديد من أنظمة الحكم العالمية كل الوسائل الممكنة من أجل الضغط على «بوتين» للإفراج عنه حتى نجحوا في ذلك مؤخراً..

الصفقة

كان من المفروض أن يتم الإفراج عن خودوركوفسكي في أغسطس 2014

وذكرت أكثر من مرة الصحافة الروسية أن خودوركوفسكي يُحقق معه بتهم جديدة قد تؤدي إلى محاكمة ثالثة له..

ووسط كل هذه الأجواء وبعد أن فاجأ خودوركوفسكي الجميع بتقدمه بطلب الحصول على عفو رئاسي خاص من الرئيس بوتين وكان وقتها قد قضى في محبسه بشمال غرب روسيا حوالي عشر سنوات..

وبدأ الرأي العام الروسي ومن وراءه العالمي يتساءل: هل سيستجيب بوتين ويفرج بالفعل عن خودوركوفسكي..

وفجأة أيضاً وبوساطة خاصة وإلحاح متعاقب ومثعلن من وزير الخارجية الألماني السابق «هانز ديتريش جينشير[1]» تم الإفراج بالفعل عن خودوركوفسكي..

(1) تولى وزارة الخارجية ألمانيا الشرقية خلال الفترة بين عامي «من 1974 & 1992»..

الفصل الثالث عشر

13



بوتين..

وحكاية سنودن

الجاسوس الروسي!!

هل هناك دورٌ ما منوط بخودوركوفسكي القيام به بين الدولتين.. هل هناك مصالح مشتركة ما يرتبط قيامها.. أو استمرارها ـ بافتراض أنها قائمة ـ بين الدولتين أصرت ألمانيا على الإفراج عن خودوركوفسكي عربوناً لها..

كلها احتمالات قائمة.. لكن المؤكد أن بوتين لم يكن ليسمح بالإفراج عن خودوركوفسكي لو كان يمثل بالنسبة له أو لنظامه أي تهديد..

والمؤكد أيضاً أنه وبعد إتمام الصفقة السرية لا يوجد أي مؤشر على موعد عودة خودوركوفسكي إلى روسيا أو حتى ما إذا كان سيعود إلى وطنه من الأساس أم لا.

حكايته مع بوتين

كما قلنا من قبل أنه بفضل ما اتبعه اللوبي الصهيونى واليهودي داخل روسيا وخارجها من أساليب ضغط متعددة تحول »خودوركوفسكي» إلى صداع دائم في رأس بوتين وحكومته.. وكان بوتين في قرارة نفسه يتمنى أن لو تخلص منه بأية وسيلة.. ولكن مالعمل.. والرجل صادرة بحقه أحاكماً قضائية وعليه احترامها.. غلسه أن يفكر ليقرر فيما بعد.. وحتى يستطيع ذلك عليه أن يدرك تماماً أن السبب الأساسي في اهتمام العديد من الدول وحكوماتها ـ خاصةً ألمانيا ـ بموضوع رجل الأعمال الروسي ليس لكونه يهودياً فحسب.. وإنما في الأساس لارتباط الرجل الذي كان يُطلق عليه مسمى «إمبراطور النفط» بملفات كثيرة ومتعددة على أعلى درجة من الأهمية مع الكثير من الأنظمة الدولية الحاكمة في أوربا والشرق الأوسط.. وكما هو معروف بديهياً فإن ملف النفط عالمياً هو ملف تديره الأجهزة الاستخباراتية ويتحكم بشكل قوي ومباشر في سياسات الدول وعلاقاتها المشتركة ونقاط تقاطعها..

لذا كان لابد من السيطرة على الرجل بما يحمله من أوراق وملفات وعدم الركون لإلقاءه في السجون الروسية.. وكانت الصفقة التي كما قلنا ونعيد ثانيةً لنؤكد جاءت أهدافها غامضة ومستترة..

***

13

بوتين..

وحكاية سنودن الجاسوس الروسي!!

الحديث عن «آنا تشابمان» لابد وأن يقودنا للحديث عن واحد من أشهر الجواسيس المعاصرين الذي ارتبط اسمه باسم الرئيس الروسي بوتين ونظامه بشدة.. وهو «إدوارد سنودن» والذى ارتبط بعلاقة غرامية شديدة الغرابة مع «تشامبان»..



من هو سنودن؟

اسمه بالكامل إدوارد جوزيف من مواليد 1983 تحديداً في الحادي والعشرين من شهر يونيو لذلك العام.. أمريكي وموظف رسمي لدى وكالة المخابرات المركزية.. تعاقد مع وكالة الأمن القومي قبل أن يسرب تفاصيل برنامج التجسس «بريسم» إلى الصحافة وتحديداً إلى صحيفتي «الجارديان» و«الواشنطن بوست». وكان ذلك في يونيو من عام 2013 حينها وُصِفَ ما سربه «سنودن» بكونها وثائق سرية للغاية..

المجتمع الدولي يتضامن

ومع بدايات سنة ٢٠١٤ دعا سياسيون عالميون للتضامن مع منظمات مجتمعية دولية تدعو الإدارة الأمريكية إلى التسامح مع سنودن وإصدار عفو عام عنه..

سنودن في روسيا

من هذه المحطة نبدأ رصد علاقة سنودن ببوتين ونظامه.. حيث يعيش سنودن حالياً بشكل مؤقت في مكان غير معلوم بروسيا.. وتتردد أنباء عن كونه ما يزال يحاول الحصول على لجوء سياسي دائم في دولة «ديموقراطية» مثل ألمانيا أو فرنسا.

العملاء يتعاطفون

ونعود أيضاً لقصة العميل السابق لوكالة الاستخبارات الأمريكية «إدوارد سنودن» مع الجاسوسة الروسية الحسناء «آنا تشابمان» فيبدو أن قد سحر آنا تشابمان بجاذبيته.. ففي خلال مكوثه بمنطقة الترانزيت بمطار شيريميتيفو بموسكو قامت وقتها «آنا تشابمان» بنشر تعليق لها عبر موقعها على موقع التواصل الاجتماعي «تويتر» أظهرت فيه إعجابها الشديد بالجاسوس الأمريكي.. بل وعرضت عليه الزواج وكان عنوان النعليق: «هل تتزوجني.. يا سنودن؟».

وبالطبع لم يكذب سنودن الخبر وفي نفس اللحظة كتب إليها قائلاً عبر موقعه: «نعم.. وياليته يكون الآن.. وفوراً».. ثم كتب لحظتها أيضاً لصديق آخر له عبر شبكة تويتر أيضاً:

«لا بد لي من الزواج بهذه المرأة.. يا إلهي أنظر إليها.. كم هي فاتنة.. وجميلة»..

هذا ما تناولته الصحافة العالمية حول الطرفين.. وإن صح ما نشر بشأن عرض الزواج وقبوله بين الاثنين فلا شك أن هذا يمثل مأزقاً سياسياً شديداً بين حكومتي البلدين.. الولايات المتحدة وروسيا على حد سواء.. ففي حالة حدوث ذلك سيتوفر لدى سنودن الأساس القانوني لمطالبة روسيا بحق اللجوء السياسي بل والجنسية الروسية إن أراد فالقانون الروسي يعطيه

وفي الحادي والعشرين من يونيو من نفس العام وَجَهَ له القضاء الأمريكي رسمياً تهمة التجسس وسرقة ممتلكات حكومية ونقل معلومات تتعلق بالدفاع الوطني دون إذن والنقل المتعمد لمعلومات مخابرات سرية لشخص غير مسموح له بالإطلاع عليها.. كان سنودن وقتها متواجداً بهونج كونج وكان سفره إلى هناك سابقاً مرحلة نشر الصحف المُشار إليها ما سربه إليها لأنه كان يتوقع الملاحقة.. وفيما بعد وفي مقالة صحفية أجرتها معه صحيفة الجارديان البريطانية قال سنودن إنه اختار هونج كونج تحديداً لأنها توفر «إطارًا ثقافيًا وقانونيًا ملائمًا» للسماح لي بالعمل دون الخضوع لاعتقال فوري.. كما أكد في نفس التصريحات أنه سَلَمَ كل الوثائق التي كانت بحوزته إلى الصحفيين الذين اتفق معهم في أمريكا وذلك عقب وصوله مباشرةً إلى هونج كونج.. وأعلن عزمه التوجه إلى روسيا.. وأنه تمكن من حماية الوثائق من المخابرات الصينية بفضل خبرة اكتسبها عنهم أثناء عمله في وكالة الأمن القومي.

مغادرة دون إكراه

وفي يوم 23 يونيو 2013 تحدثت صحافة هونج كونج عن كون سنودن قد غادر أراضيها دون إكراه لبلد ثالث ـ غير محدد ـ بالطُرق الشرعية والطبيعية.. وذلك بعد يوم واحد من تقديم الولايات المتحدة طلب إلى حكومة هونج كونج لتسليمه بسرعة..

وأعلنت أمريكا أنها ألغت جواز سفر سنودن..

بين نوبل والملاحقة القضائية

الغريبر أن سنودن حصل بعدها سنة 2013 على جائزة سام آدامز.. ورُشح لنيل جائزة نوبل للسلام..

لكن في نظر السلطات الأمريكية يعتبر سنودن هارباً من العدالة لاتهامه بالتجسس وسرقة ممتلكات حكومية..

الفصل الرابع عشر

14



بوتين..

والمجتمع المدنى!!

الحق فى ذلك خاصةً إذا عرفنا أنه تقدم بالفعل إلى 15 دولة مختلفة بطلب اللجوء السياسي.. ولكن لخوف حكومات تلك الدول من الغضب الأمريكي رفضت جميعها.

دخول مشروط

وبعد سماحه له بالدخول إلى أراضي روسيا نصح بوتين سنودن بالكف عن النشاط المعادي للولايات المتحدة الأمريكية وتسريب الأسرار إذا كان راغباً بالبقاء في روسيا.

وقال الرئيس الروسي إن موسكو لم يسبق لها أن سلمت أحداً لأي جهة خارجية قط.. وليس لها نية بأن تفعل ذلك مع سنودن فهو له مطلق الحرية لأن يغادر روسيا وقتما يشاء إذا حصل على حق اللجوء في أي بلد آخر.

الثعلب يراها فرصة مناسبة

بين السطور نقرأ أن هذا الثعلب المُسمى بوتين ربما رأى في سنودن فرصة ذهبية لإبعاد الرأي العام والصحافة داخل وخارج روسيا عن موضوع علاقته بالجاسوسة الحسناء «آنا تشابمان» ونسيانه و إلهاءها بشماعة أخرى تعلق عليها دوامة بحثها الدائم عن الإثارة بعيداً عنه وعن ملاحقته.. ويكون ذلك خاتمة حسنة لقضيته.

***

14

بوتين..
والمجتمع المدنى!!

عندما تم اختيار (بوتين) ليتصدر قائمة أقوى أقوياء العالم لعامين متتاليين من خلال واحدة من أقوى وأشهر المجلات الأمريكية وهى (فوربس).. لم يكن ذلك من فراغ.. فهو من وجهة نظر العالم أصبح الآن الأكثر سرعةً وحسماً وصلابة فى مواقفه.. سواء من موقع (الفعل) أو (رد الفعل).. ليس فقط على مدار عامى الاستطلاع وإنما منذ جاء إلى سُدة السلطة والحُكم فى الكرملين مع مطلع عام 2000.

في البداية كان بوتين يبدى قدراً هائلاً من المرونة على صعيد الخارج.. باحثاً من خلال ذلك على الدعم المطلوب لمواقفه وسياساته الداخلية التى طالما اتسمت بالحسم والقوة لدى إدارته لمعاركه مع خصومه فى الداخل من أرباب نظام سلفه بوريس يلتسين ممن نهبوا ثروات روسيا ـ سنتحدث عن البعض منهم فيما بعد ـ وتمثل ذلك فى تعاونه مع الرئيس الأمريكى السابق جورج بوش فى مجال مكافحة الإرهاب.. وفيما قدمه من تسهيلات لقوات الائتلاف الغربى فى حربها ضد الإرهاب فى أفغانستان بعد أحداث 11 سبتمبر 2001..

لكن سرعان ما اتخذ بوتين موقفاً مغايراً تماماً تجسد في خطابه النارى فى ميونيخ فى مؤتمر الأمن الأوروبى عام 2007 والذى طالب من خلاله بوضع حد لهيمنة أمريكا على شئون العالم باعتبارها القطب الأوحد.. وضرورة العمل على بناء عالم متعدد الأقطاب.. ولذا كان من الطبيعى أن تترك عدم ثقته فى الإدارة الأمريكية ورفضه التعامل معها من مواقع اكتسبتها نتيجة ممارسات غير مشروعة من جانب أوباما الذى تحدث فيما بعد صراحةً عن كونه كان

حصان طروادة

إذن كانت منظمات المجتمع المدنى هى (حصان طروادة) بالنسبة لأمريكا..

وبوتين ليس من الغباء كى لا يدرك أن بطن الحصان مملوءٌ بالأمريكان جاءوا ليخترقوا بلاده.. ويعبثوا بنظامه..

وأيضاً فبوتين ليس بقليل الحيلة ليقف مكتوف الأيدي أمام هؤلاء..

وكان لابد أن يأتى الصِدام بين بوتين.. وتلك المنظمات.. وكان الوضع مع بوتين أكثر خصوصية..

لماذا؟

لسابق ما قلناه.. ولأن ما فعله بوتين مع أوكرانيا.. وشبه جزيرة (القرم) كان لا شك يستدعى ذلك.. فالأمر هنا وهُناك ومن بداياته كان لافتاً بشدة لأنظار المجتمع الدولى ككل.. وبالتبعية كان أول من سيتحرك في هذا الشأن هو منظمات المجتمع المدنى سواء داخل روسيا.. أو خارجها.. وهو ما حدث..

لكن فاجأ بوتين العالم كله باستمرار تحديه لمنظمات المدنية في بلاده..

تشديد الرقابة على منظمات المجتمع المدني

فبعد أخذ وجذب صدق بوتين على قانون يقضى بحق وزارة العدل الروسية فى إجراء المراجعات (غير الدورية) لمنظمات المجتمع المدني داخل الدولة.. وهو ما يعنى عملياً التفتيش المفاجئ على نشاطات هذه المنظمات.. ويسرى القانون الجديد على مخالفات تجاوز المنظمات للمهلة الزمنية المقررة سلفاً من جانب الحكومة الروسية لتوفيق أوضاعها أو ممارستها لأنشطة مخالفة للقوانين العامة..

القانون تلى مباشرةً إقرار مجلس الدوما لقانون تنظيم تسجيل منظمات المجتمع المدني.. والتى يعتبرها ممثليات لمنظمات أجنبية يخضع نشاطها للرقابة المالية والإدارية من جانب المؤسسات الرقابية للدولة الروسية.. فيما أقر الوضعية القانونية لأعضائها واعتبارهم (عملاء(لهذه الممثليات الأجنبية..

أشد ارتياحاً في التعامل مع الرئيس الروسى السابق (دميترى ميدفيديف) ولما كان يبديه من مرونة هائله تجاه الإدارة الامريكية..

قال وقتها المراقبون أن أوباما يشكر للرجل جميله بسماحه له بالتدخل هو وأجهزته الاستخباراتية الأمريكية عن طيب خاطر فى شئون بلاده واختراقها من خلال منظمات المجتمع المدني.. وما سُمِيَ بالمعارضة غير الممنهجة فى روسيا والتى قَدَمَ لها (ميدفيديف) الكثيرَ من التنازلات..

وغير خافٍ على أحد أن ما يُحاكُ حول منظمات المجتمع الدولى من أقاويل.. وشُبهات.. هو صداع مُزمن.. ليس في روسيا وحدها.. وإنما في كل دول العالم.. ليس مع بوتين وحده.. وإنما أيضاً مع كافة حُكام ورؤساء دول العالم..

قنبلة بوتين

ثم كانت القنبلة المدوية التى قذف بها بوتين في وجه الجميع عندما صرح في إحدى مؤتمراته الصحفية بأن المنظمات في بلاده حصلت على نحو مليار دولار أميركي من رعاة أجانب.. لاختراق المجتمع والدولة الروسية.. كان هذا تحديداً في أبريل من سنة 2013.. وكان بوتين قد أعلن تصريحه هذا لتبرير عمليات اقتحام الشرطة الروسية لمئات من مقار منظمات المجتمع المدني الروسية..

ومنظمات روسيا ترد:

وإزاء اتهامات بوتين.. رفضت منظمات المجتمع المدني تصريحاته.. وطالبته بإثبات صحة ادعائه.. الذى تسبب في توجيه انتقادات قوية له من الغرب.. وأصر بوتين على أن المداهمات كانت ضرورية للتأكد من الالتزام بالقانون الجديد الذي يشترط على المنظمات التى تتلقى تمويلاً أجنبياً وتشترك في أنشطة سياسية ذات تعريفات فضفاضة أن تسجل نفسها بصفتها «وكالات أجنبية».. وأن الشعب له الحق في معرفة من يمولها..

بوتين يتحدث عن موقفه

وبعد تصديق الدوما.. ومن ثمَ إقراره للقانون.. تحدث بوتين للإعلام في بلاده.. ومن ثم للرأى العام العالمي عن موقفه من منظمات المجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية.. قائلاً أن القانون يتبنى موقفاً جديداً من آليات تسجيل المنظمات الأجنبية ويراعى أن الكثير من تلك المنظمات لا تستطيع الوجود وممارسة نشاطها في الخارج كمنظمات اجتماعية.. ولذا فقد تضمنت التعديلات المقترحة «أن تسجيل المؤسسات المشار إليها كمنظمات اجتماعية سوف يفضي إلى تقليص نشاطها بشكل غير مُبرر ويطال الحقوق المشروعة ومصالح منظمات ومواطني روسيا الاتحادية ممن يتعاونون مع هذه المؤسسات»..

وطرح بوتين فكرة الاكتفاء بإبلاغ المنظمات الدولية والأجنبية بما فيه أفرعها وممثلياتها العاملة داخل روسيا الاتحادية.. وذلك بغض النظر عن شكلها القانوني والتنظيمي.. إلى جانب ضرورة تقديم تلك المنظمات لتقارير مالية دورية حول حجم المبالغ المنفقة وأوجه إنفاقها.. واعتبر الرئيس الروسي إلزام هذه المؤسسات بتسجيل نفسها كمنظمات روسية اجتماعية أمراً مُبالغاً فيه..

حصان طروادة ثانية

أدرك بوتين مبكرا أن واشنطن سوف تواصل محاولاتها لاختراق فريقه الحاكم ممن سقط بعضهم فى شرك الفساد من بوابة (حصان طروادة).. وهؤلاء استمرأوا استغلال مواقعهم لاكتناز الثروات والعقارات فى داخل البلاد وخارجها.. ولذا كان قراره بإلزامهم بالمفاضلة بين الثروة والمناصب الحكومية.. إلى جانب إلزام كل العاملين فى الأجهزة الرسمية للدولة بالإعلان عن ذممهم المالية وما يملكونه من ثروات واستثمارات وحسابات متضخمة فى البنوك بالخارج.. وما حصل عليه بعضهم بالفعل من تسهيلات وامتيازات وأحياناً جنسيات أجنبية.

أمريكا تخطط..

وفيما كان أوباما ورفاقه يخططون لاستخدام ممثلى هذه النخبة الحاكمة وما يتبعها من منظمات مجتمع مدنى.. ليكونوا منهم (طابور خامس) ومستخدمين في سبيل ذلك ملفي أوكرانيا..

وقد سبق إقرار الدوما.. وتصديق بوتين.. مراحل مختلفة تم تداول مخطوطة مشروع القانون الأولى بين الرئاسة والمجلس لأكثر من مرة للاستقرار على شكله النهائي.. وفي البداية صرح بوتين بأن مشروع القانون في حاجة إلى تعديلات كبيرة يجب أن يراعيها النواب.. والعودة إلى تناوله في قراءة أخرى.. وسارع بتكليف المسئولين في ديوان الكرملين بإعداد صياغة جديدة لمشروع القانون تراعي ملاحظات الخبراء الأوروبيين وقلق أعضاء الجمعية الاجتماعية المُشكلة حديثاً آنذاك وكانت تضم أبرز رجال المجتمع وممثلين عن مختلف مجالات العمل العام.. خاصةً بعد أن أعرب هؤلاء عن رفضهم للمشروع لعدم استشارتهم في مواده.. وأرسل بوتين برسالة إلى رئيس مجلس الدوما وقتها (بوريس جريزلوف) شدَدَ فيها على ضرورة أن تتواءم الآليات المقترحة بالقانون لتنظيم نشاط منظمات المجتمع المدني مع المبادئ التي يستند إليها هذا المجتمع.. وكذا القواعد المطلوبة لتنظيم علاقة الدولة بمنظمات المجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية.. والدولية والأجنبية على وجه الخصوص.. كما أودعها رأيه الرسمي في مشروع القانون بعد مناقشته في المجلس مما دعا المجلس للعودة لمناقشة تعديلات بوتين وإقرار معظمها.. ليعود إليه للتصديق النهائي..

لماذا صدر القانون؟

جاء إقرار هذا القانون فى أعقاب انتهاء محكمة موسكو من النظر فى قضية المتهمين من مشاركى (مظاهرة بولوتنويه) وهى تلك المظاهرات التى اعتبرها المراقبون (هي الأوسع نطاقاً منذ مطلع تسعينيات القرن الماضي) واندلعت نهايات عام 2011 وأُلقِيَ القبضُ خلالها على العشرات من أبناء الشعب الروسي بتهمة انتهاك القانون والاعتداء على ممثلي الشرطة.. وصدرت فيما بعد ضدهم أحكام مختلفة بالحبس لفترات تتراوح بين خمس وست سنوات..

وفي يوم المحاكمة في السادس من مايو 2012 اندلعت مظاهرات أخرى أحاطت بمبنى المحكمة في في قلب العاصمة الروسية لتندد بمحاكمة هؤلاء.. وعلى أثرها اعتقلت الشرطة الروسية ما يقرب من 420 آخرين..

كان المتظاهرون خلال تلك المظاهرتين قد خرجوا احتجاجاً على عودة الرئيس الروسي فلاديمير بوتين إلى سدّة الحكم في الكرملين..

والفرنسى فرانسوا أولاند.. ومن هم على شاكلتهما ممن يدافعون عن حقوق المثليين فى تسجيل زيجاتهم وتقنين علاقاتهم جرياً وراء إصلاح شعبيتهم.. ولهثاً وراء الأصوات الانتخابية.. التى يسجل الواقع الراهن تدنيها إلى مستوى غير مسبوق.. كما هو حاصل بالنسبة لكل من أوباما فى الولايات المتحدة.. ومع أولاند فى فرنسا.. وإشارة غير مباشرة لارتفاع نسبة شعبيته هو فى الداخل والخارج على حد سواء.. رغم كل العقوبات والمحاولات المضنية التى يبذلها خصومه..

الخلاصة

أنه في كثير من الحالات.. تصبح منظمات المجتمع المدني مجالاً لمناقشات وخلافات حول قضايا ومبادرات تتعلق بالسياسات.. وفي حالات أخرى.. يتحول التعامل مع منظمات المجتمع المدني إلى تصفية حسابات سياسية.. وفي كثير من دول العالم تتعرض منظمات المجتمع المدني لإجراءات صارمة لدى الاشتباه بتبعيتها لحكومات أجنبية ـ سواء اتهمت بأنها ناطقة باسم هذه الحكومة أو لا ـ وتُتهم كذلك بالعمالة.. وأحياناً لا تقوم هذه الاتهامات على أي أساس في الواقع.. ولكنها كانت وسيلة للحكومة التي تبحث عن كبش فداء وعن تشتيت الانتباه عن مشكلات أخرى.

وشبه جزيرة القِرم.. في الضغط خارجياً لإثارة العام العالمى ضده.. وداخلياً أيضاً لإشاعة روح التذمر ضد سياساته ليكون هؤلاء وأولئك فى مقدمة الشارع والرأى العام الروسي والعالمي.. متنبئين بأن يسفر ذلك عن صناعة (ثورة ملونة) للإطاحة ببوتين ونظامه..

وبوتين يتصدى

كان بوتين متيقظاً تماما لما تحيكه الولايات والمتحدة من دسائس ومبادرات ومخططاتهم لاستخدام هؤلاء داخل روسيا.. وعلى مقربة مباشرة من حدودها فى بلدان الفضاء السوفيتى السابق.. من خلال من تختارهم واشنطن من سفراء معروفين بخبراتهم العريضة فى مجال (الثورات الملونة) وبات من الواضح تماماً أن أوباما وضع نصب عينيه هدف التخلص من غريمه الروسى الذى لم يعد يُطيق التعامل معه منذ أن عاد إلى السلطة فى الكرملين فى عام 2012..

إذن ومن المنطقي أيضاً أن بوتين يبادله نفس المشاعر التى سبق وكشف عنها فى مستهل ولايته الأخيرة.. حين اعتذر عن عدم المشاركة فى (قمة شيكاغو) فى عام 2012 فى الولايات المتحدة.. والتى كان مقرراً أن تجمعهما معاً.. وأوفد رئيس حكومته ميدفيديف بديلاً عنه.. وتجلى وعيه و إدراكه لكل ذلك من خلال ما قاله بوتين في خطابه النارى الذى ألقاه فى سوتشى فى ختام أعمال منتدى (فالداى).. والذى لم يكن أقل حدة من خطابه فى ميونيخ 2007 تحدث فيه حول يقينه بأن إشعال الغرب نيران الأزمة الأوكرانية كان ستاراً لتنفيذ مآرب أمريكية بعيدة المدى داخل بلاده..

ويتهم صراحة

واتهم بوتين صراحةً في أكثر من خطاب ولقاء إعلامى الولايات المتحدة بأنها وراء إشعال نيران الثورات.. وتدبير الانقلابات في العالم أجمع وليس بلاد الاتحاد السوفيتي السابقة فحسب.. واستشهد بدورهم فى الإطاحة بنظام الرئيس الأوكراني السابق فيكتور يانوكوفيتش.. بل ومضى فى ذات الطريق ليوضح أنه لا يمكن أن يكون رفيقاً أو شريك رأى مع أناس يعلون (حقوق المثليين).. على نواميس الشريعة الإلهية.. فى إشارة مباشرة.. إلى أن أوباما الأمريكى..



خاتمة

روسيا بعد بوتين!!

خاتمة

روسيا بعد بوتين!!

إن آجلاً.. أو عاجلاً سيترك بوتين الحكم في بلاده..

الأسباب متباينة ما بين القدرية.. وسنة التغير التي تحكم الحياة بكل أشكالها وبما فيها السياسية..

فماذا ستكون صورة روسيا عندما يتباعد بوتين ذلك الرئيس الذي رأى فيه الشعب الروسي قيصرهم الجديد.. الذي عاد من رحم الغيب ليعيد لهم سطوتهم.. ومجدهم القديم كقوة عُظمى..

وبدراسة العوامل الاستراتيجية الرئيسية التى من المحتمل أن تشكل السلوك الروسى فى الساحة الدولية فى مرحلة ما بعد بوتين نجدُ أن هناك خطوطٌ عريضة تفرض نفسها.. فعلى الأقل ستبقى سياسة بوتين الخارجية ورؤيته لتحكم وتتحكم وترسم ملامح مواقف روسيا القادمة.. فبوتين هو أول رئيس روسى صاغ سياسة خارجية متكاملة لبلده بعد فترة غليان فى الداخل وغياب من الساحة الدولية وحظى الرجل بالاحترام والتقدير والتأييد أولاً من مواطنيه.. ثانياً من العديد من دول العالم التي هي على الأقل رافضة للمعسكر الأمريكي الغربي.. لكن تبقى للرئيس الحاكم من بعد بوتين (ديمترى ميدفيدف) سياساته الخاصة وشخصيته المختلفة التي ستفسر الأيام القادمة من فترة حكمه عن فحواها.. فلننتظر..

أكثر ما يخافه على بلاده الثورة

في أكثر من لقاء كان فلاديمير بوتين يدعو شعبه دائماً إلى أخذ العبر من الثورات الملونة في الدول الأخرى بكل ما سببته من انفلات وفوضى لضمان عدم حدوثها في روسيا.

استراتيجية مكافحة التطرف التي دعا إليها رئيس البلاد.. ومن المقرر أن تعد الحكومة خطة سريعة لتفعيلها.

وأوضح بأن الوثيقة أصبحت جاهزة تماماً.. وستُحال إلى رئيس الدولة للمصادقة عليها وبعد ذلك سيتم نشرها.

الحد من الهجرة غير الشرعية

كما لفت بوتين أنظار مواطنيه والحكومات المقبلة إلى ضرورة التعامل بصورة أكثر فعالية مع ظاهرة الهجرة غير الشرعية.. قائلا إن هذه الظاهرة توفر أرضية خصبة للجريمة في البلاد.

ودعا في الوقت نفسه إلى رفع مستوى المهاجرين الثقافي والاهتمام بتأهيلهم في المجتمع الروسي اجتماعياً وثقافياً.. إضافة إلى حماية حقوقهم.

❋❋❋

مثلاً في اجتماع لمجلس الأمن الروسي الخميس 20 نوفمبر2014 قال بوتين:

(في هذا العالم المعاصر يستخدم التطرف كأداة تغيير جيوسياسي وإعادة توزيع مناطق النفوذ.. نحن جميعا نرى العواقب الكارثية لما يعرف بالثورات الملونة إضافة للهزات التي تعرض ولا يزال يتعرض لها سكان هذه البلدان حيث مروا بتجارب غير مسؤولة تحت تدخلات خارجية.. بعضها فظ جداً في حياتهم.. وهذا درسٌ لنا نحن في روسيا.. فيجب علينا فعل كل مايلزم لكيلا يتكرر هذا في بلدنا)

لابد من احترام الرأي الآخر

في لقاء تليفزيوني آخر حذر بوتين من خلط محاربة التطرف بمحاربة الرأي الآخر.. وقال بوتين:

(نحن دولة حرة ديمقراطية ولدى مواطنينا كامل الحق بإبداء مواقفهم وآرائهم والتصريح بها ولهم الحق أن يكونوا في جانب المعارضة).

المحاور الثلاث لمحاربة التطرف في روسيا

إن مكافحة التطرف في روسيا يجب أن تتمحور حول المسارات الثلاثة وهي:

- الحرص البالغ على انسجام العلاقات بين القوميات المختلفة..
- توعية الشباب..
- تحسين السياسة في مجال الهجرة..

الشباب الروسي في مقدمة اهتماماته

وفيما يتعلق بالعمل مع الشباب.. أشار الرئيس الروسي إلى أن زعماء الجماعات المتطرفة يحاولون تجنيد الشباب لتبني دعاويهم التحريضية خاصةً عبر شبكة الأنترنت.. وتعقيباً على ما قاله بوتين أعلن نيقولاي باتروشيف أمين مجلس الأمن الروسي أن المجلس صادق على مشروع

فهرس المحتويات

صفحة	الموضوع
7	كلمة أولى
11	تمهيد: روسيا قبل بوتين!!
25	بوتين.. بورتريه بريشة الكلمات!!
37	الفصل الأول: رحلة صعود بوتين السياسية!!
43	الفصل الثاني: بوتين رئيساً!!
49	الفصل الثالث: بوتين.. ضد أمريكا!!
57	الفصل الرابع: السياسة الخارجية الروسية خلال حكم بوتين!!
67	الفصل الخامس: بوتين.. وألمانيا.. ومجموعة العشرين!!
73	الفصل السادس: بوتين.. ومشكلة أوكرانيا!!
87	الفصل السابع: بوتين.. وأزمة بلاده مع جورجيا!!
95	الفصل الثامن: بوتين.. ومصر.. والأشرق الأوسط !!
105	الفصل التاسع: رجال ونساء حول بوتين!!
115	الفصل العاشر: حكاية بوتين وألكساندر ليتفينينكو!!
121	الفصل الحادي عشر: وحكايته مع بوريس بيريزوفسكي!!
129	الفصل الثاني عشر: حكاية بوتين و«خودوركوفسكي» أشهر سجين روسي !!
135	الفصل الثالث عشر: بوتين.. وحكاية سنودن الجاسوس الروسي!!
141	الفصل الرابع عشر: بوتين.. والمجتمع المدنى!!
151	خاتمة: روسيا بعد بوتين!!